ثقافةُ الهند

Volume 67, No. 4, October- December 2016

المجلد 67، العدد 4، أكتوبر - ديسمبر 2016

ISSN 0970-3713

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية جامعة فصلية

المجلد 67، العدد 4 ، أكتوبر – ديسمبر 2016

رئيس التحرير
سيد إحسان الرحمن

مساعد التحرير
د. محمد قطب الدين

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية في حكومة الهند أنشئت عام 1950م لإيجاد وتنمية العلاقات الثقافية والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الأخرى، وضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" وفي الإنكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" وفي الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" وفي الأسبانية "Papeles de la India" وفي الهندية "Gagananchal" وكلها يصدر أربع مرات في السنة.

والمراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

EDITOR, Thaqafatul Hind
The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)
E-mail: editor.thaqafatulhind@gmail.com

ويدفع الثمن لـ:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)

يمكن الوصول إلى المقالات المنشورة في مجلة "ثقافة الهند" على الموقع الإلكتروني التالي:

www.iccr.gov.in/library&publications/journals

حقوق جميع المقالات المنشورة في ثقافة الهند محفوظة فلا يجوز نشرها بدون الإذن الخطي، والآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصية للمساهمين والكتاب ولا تعكس سياسة المجلس بالضرورة.

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس:

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
25 روبية	100 روبية	250 روبية
10 دولارات	40 دولارا	100 دولار
4 جنيهات	16 جنيها	40 جنيها

نشرها وطبعها السيد أمارينـدرا خاتوا، المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية – آزاد بهوان، نيودلهي، الهند.

ثقافة الهند

المجلد 67، العدد 4 ، أكتوبر – ديسمبر 2016

- كلمة المدير العام
- كلمة إدارة التحرير
- **تطبيق المثل العليا الفيدية للمعاملة بالمثل في عصر العولمة** 1

  زائر النساء zairunisha

  ترجمة: أ. د. زبير أحمد الفاروقي
- **الفكرة الرئيسية في كتابات الشرقاوي ومنشي بريم تشند** 13

  د. محمد جسيم الدين
- **عبادة الأوثان والأصنام في مختلف حضارات العالم** 22

  فرحان الأنصاري
- **سيد سليمان الندوي ومساهمته في تطوير اللغة العربية وآدابها في الهند** 54

  د. تسنيم كوثر
- **نافذة على أهمّ حركات الإصلاح في الديانة الهندوسية والمجتمع الهندي في القرن التاسع عشر الميلادي** 69

  حامد رضا
- **ميغالايا: مثوى الغيوم** 80

  أرشنا كوماري Archana Kumari

  ترجمة: أ. د. ولي أختر الندوي

قراءة في كتاب

- **تاريخ حضارة الهند** 93

عرض: أ.د. حبيب الله خان

قصة قصيرة

- **زائرو الليل** 99

ابن كنول

ترجمة: أ.د. أحمد محمد أحمد

- **عودة السيد الصغير** 106

رابندرناث طاغور

ترجمة: د. محمود عالم الصديقي

تقرير:

- **الاحتفال باليوم العالمي الثاني لليوغا** 117

د. معراج أحمد معراج

كلمة المدير العام

قبل مدة وجيزة توليت منصب المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية ووجدت أنه ضمن جهودنا المتواصلة لزيادة تعزيز علاقاتنا الثقافية والأكاديمية مع إخوتنا العرب وهم أصدقاؤنا الأحماء والمخلصون منذ غابر الزمان، نصدر مجلة عربية فصلية باسم "ثقافة الهند" باستمرار. كان أنشأها مولانا أبوالكلام آزاد في عام 1950م. منذ بدايتها ركزت المجلة جل عنايتها على نشر ثقافة الهند ولغتها وآدابها وتقاليدها وتاريخ الهند وحضارتها. من هنا نوجه الدعوة إلى المؤلفين والباحثين من الهند والعالم العربي أن يساهموا بمقالات بحثية باللغة العربية والإنجليزية في موضوعات تتعلق بالحكمة الهندية وعلومها وثقافتها وأسفارها وكتبها وأعيادها واقتصادها وتاريخها ما قبل الإسلام وتطور العلوم والتكنولوجيا في الهند والديموقراطية في الهند.

هذا، ويؤكد المجلس الهندي للعلاقات الثقافية على زيادة توطيد العلاقات الهندية – العربية والحصول على المقالات والبحوث في الجوانب المختلفة للعلاقات الهندية– العربية للنشر في هذه المجلة.

وفي هذا العدد للمجلة نقدم لقراءنا مقالات ممتعة ومملوءة بالمعلومات مثل "تطبيق المثل العليا الفيدية للمعاملة بالمثل في عصر العولمة" و"الفكرة الرئيسية في كتابات الشرقاوي ومنشي بريم تشند" و"عبادة الأوثان والأصنام في مختلف حضارات العالم" و " سيد سليمان الندوي ومساهمته في تطوير اللغة العربية وآدابها في الهند" و" الحركات الإصلاحية في المجتمع الهندي والديانة الهندوسية في القرن التاسع عشر في الهند" و" ميغالايا: مثوى الغيوم" والقصة القصيرة وعرض لكتاب وتقرير حول " احتفال باليوم العالمي الثاني لليوغا".

كلمة المدير العام

أهنئ أعضاء هيئة التحرير للمجلة والمسؤولين الآخرين الذين يعملون بجدية وإخلاص لتحسين وجعل المجلة مفيدة وأكثر تأثيرا. كما أشكر قراءنا الأعزاء الذين ينتظرون لكل عدد المجلة بشوق ورغبة.

نأمل أن قراءنا سيعجبون بهذا العدد أيضا ويواصلون اهتمامهم بهذه المجلة.

Amark

أمارِيندرا خاتوا

المدير العام، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيو دلهي

كلمة إدارة التحرير

إنما الهند إحدى أقدم الحضارات العالمية ودولة عظيمة ليس فقط لأنها ممتدة على مساحة كبيرة من الأرض بل لأنه يوجد لها قلب سخي يفسح المكان لمختلف الأيدولوجيات والديانات مع دائم التوفيق بينها للتعايش السلمي. منذ قرون يوجد في الهند الدائنون بالديانات الواردة إليها مثل الإسلام والمسيحية واليهودية والمجوسية متمتعين بكامل الحقوق المواطنية جنبا إلى جنب الدائنين بالهندوسية. وهؤلاء الهندوس يكونون الأغلبية العظمى في الهند وعادة يعبد الهندوس الأوثان والأصنام والأشجار والحيوانات وأناسا أحياء وأمواتا. وفي نفس الوقت لا يتدخلون في طرائق وأشكال عبادات الدائنين بالديانات الأخرى. فلذلك يوجد في الهند بأعداد لا حصر لها مساجد وكنائس ومعابد اليهود وكذلك معابد المجوس وكل منا حر لأداء طقوس العبادة على طريقته من غير أي تدخل أو اعتراض من أي كان. فليكن معلوما أن الهندوس أيضا يوقنون بوحدانية الخالق ويطلقون عليه اسم إيشور (Eshwar) أو برماتما.

وللديانة الهندوسية قيم أخلاقية وإنسانية مثل أية ديانة أخرى عالمية النطاق وإلهية الختم. ويظهر ذلك ويتبين عندما يطلع الإنسان على الأسفار الدينية الهندوسية التي تحدثنا عن المثل الأخلاقية العليا وتقدم لنا صورة واضحة لعظمة الديانة الهندوسية. إنما التنوع في الديانات على مساحة العالم يماثل التنوع في

الأزهار على مساحة حديقة، ولكل نوع من الأزهار جماله ورائحته. نحن جميعنا نكون هذا العالم المتنوع وأن نتعايش في سلم ووئام ضروري لبقاء العالم. في الوقت الحاضر قد تغيرت الظروف وهي التي تملئ علينا أن نتبع بصرامة مبدأ " عش ودع الآخرين يعيشون" حتى نتفادى إثارة أوضاع الخلافات اللامتناهية وغيرالضرورية التي بدورها تضر بمصالح البشرية على صفحة هذه الأرض. نحن كلنا بشر ولكل واحد منا حق الحياة على طريقته.

إدارة التحرير

تطبيق المثل العليا الفيدية للمعاملة بالمثل في عصر العولمة

زائر النساء*
Zairunisha
ترجمه : أ. د. زبير أحمد الفاروقي**

{أثناء العقود الثلاثة الماضية قد جرى استعمال كلمة " العولمة" لوصف الصورة المستقبلية الناشئة للعالم ، وأن قراءة في المواد المطبوعة حول العولمة تؤدي بنا إلى الاستنتاج بأن أنصار العولمة ونقادها يعتمدون على ميزات انتقائية للعولمة في عرض سيناريوهات إيجابية وسلبية تأييدا لتصوراتهم، وهذه طريقة اعتباطية غير صائبة للتوصل إلى تصور دقيق عن المستقبل. وعلى الرغم من قصة الصراعات والحروب ومظاهر الظلم القاسي، هناك طموح مشترك لدى كافة أبناء البشر للتعايش في جو من السلم والانسجام والتعاون، وعلينا أن ندرك الحاجة الملحة لاتخاذ قرارات على الصعيد العالمي للتعاضد في جهودنا من أجل حماية الكرة الأرضية من الدمار. ومن خلال هذا المقال حاولنا إيجاد طرق يمكن بها تطبيق المثل العليا الفيدية الخاصة بالمعاملة بالمثل من أجل تبادل المعلومات والمهارات والموارد ما يجعل العالم مكانا آمنا أقل خطرا يعيش فيه الناس كأسرة واحدة كما تم توضيحه في "ريغفيدا" بعبارة "فاسوديف كوتومبهاكام" (العالم أسرة}.

---

* باحثة في مركز الفلسفة، جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي.
Centre for Philosophy, JNU, New Delhi
** *الأستاذ ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها سابقا بالجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي*

مقدمة:

شهد النصف الثاني من القرن العشرين تغيرات منقطعة النظير في كافة المجالات لحياة البشر عبر العالم، فقد تغيرت حياة مجموعة كبيرة من الناس بفعل العوامل المتمثلة في الانتصار السياسي لحركات التحرير الوطنية ضد الاستعمار والإمبريالية وانتشار الاقتصاديات السياسية الاشتراكية/الشيوعية وانهيارها ونزوح عدد لا بأس به من الناس من آسيا وإفريقيا إلى أوروبا وأمريكا الشمالية وظهور وانتشار الشركات الأجنبية وتحرك رأس المال والوصول الميسر إلى الإعلام الإلكتروني والحاسوب مع تسهيلات الإنترنت، ويمكن مشاهدة هذا التحول بشكل ملموس في القوة المتزايدة للمجمع الصناعي العسكري الغربي والاقتصاد السياسي الدولي والسياسة الحكومية واستنفاد الموارد الطبيعية وتهديدات الدمار الطبيعي الصناعية والاحتباس الحراري. إننا نعيش في عالم تعددي مع عناصر المجتمعات المختلفة ذات ديانات وثقافات مختلفة في مساحات جغرافية مشتركة أو مجاورة البعض للبعض. وعلى الرغم من أن الناس من مختلف أنحاء العالم يتعايشون معا طوعا أو كرها إلا أن عالمنا اليوم قد غدا مكانا أكثر خطرا من أي وقت مضى حيث نشهد فيه أحداثا متزايدة للصراعات العنيفة والتوتر والإرهاب والحروب.

وقد أتاحت وسائل الإعلام الاجتماعي في الفضاء السبراني فرصة غير متوقعة للناس للتواصل الفوري البعض مع البعض ولتشكيل مجموعات خاصة لهم عبر العالم ، وهناك مجتمعات واقعية تعيش في عالم خيالي حيث تتمسك برؤياها وتشجع العدوان تجاه معارضيها الحقيقيين أو الوهميين. وأن عالمنا في عصر العولمة عالم تعددي دون شك ولكن ينقصه الانسجام والهدوء، ولذا لاغرو في أن الأفراد أيضا محرومون من الهدوء والسكينة حيث يعيشون عيشا مضطربا تشوبه حالة عدم اليقين

وتخيم عليه الأخطار والهواجس، ولذا تلح الحاجة على تحديد مصادر الشقاء الإنساني على الصعيدين الفردي والاجتماعي كليهما.

وفي هذا المقال نحاول شرح الأبعاد المختلفة لمحدودية الإنسان من أجل معالجة جهلنا عن طبيعة العالم وأيضا عن أنفسنا باعتباره السبب الرئيس للمشاكل التي يعاني منها العالم حاليا، ذلك باكتشاف وتطبيق المثل العليا الفيدية للمعاملة بالمثل ومنها " العالم أسرة" و"الوحدة في التنوع" بما يساعد في تحقيق حياة سعيدة وعلاقات تتميز بالسلام والانسجام بين الناس. وتؤكد كتب "الفيدا" بوضوح أن الإنسان يملك قدرة معرفية محدودة ولذا لايستطيع أن يفهم أسرار الكون فهما كاملا، وقد أسفر انتهاك هذه المحدودية عن نتائج خطيرة للغاية. فالمثل العليا الفيدية تهدينا إلى طريقة لحل المشاكل المتزايدة بسرعة والتي يواجهها الإنسان على الصعيد العالمي، ومن الممكن أن نحمي الإنسانية والعالم من الدمار الوشيك باتباع المذهب الفيدي الذي يدعو إلى القيام بالأعمال الصالحة وأداء الواجبات.

ملابسات محدودية الإنسان للمنظور العالمي:

الإنسان كائن محدود القدرة، وأننا كإنسان لابد أن نعيش داخل حدودنا الوجودية والمعرفية والاختيارية، حيث لا نستطيع أن نتغلب على ميزتنا للفنائية وعوزنا للمعرفة التامة والقدرة الكاملة وما ينجم عن ذلك من عدم كفائتنا في إدارة شئوننا. وقد أصبح عقل ما بعد الحداثة يلاحظ تدريجيا أن كثيرا من التهديدات الخطيرة لبقاء الإنسان على الكرة الأرضية هي غير متوقعة ونتائج غير مقصودة للممارسات المعتمدة في استخدام العلوم والتكنولوجيا العصرية لتحقيق الفوائد بإسم الرفاهة البشرية. فننسى محدوديتنا عن غير قصد في أحيان كثيرة ولكن عن قصد في بعض الأحيان مسترشدين من العقلانية الرأسمالية الذرائعية، ذلك في محاولتنا لاستغلال الطبيعة باعتبارها مجرد مورد لزيادة الثروة والرفاهة والراحة، ونخدع أنفسنا بالافتراض بأننا نستطيع، ولو احتمالا، أن نملك المعرفة الكاملة والقدرة التامة في علاقاتنا مع الطبيعة، ولكن عجرفتنا هذه تتلاشى بفعل جهلنا عن العالم بل وعن أنفسنا أيضا.

وكانت مجتمعات ماقبل عصر الحداثة واعية بمحدودية الإنسان، وفي سياق الهند جرى التعبير عن هذه الحكمة لأول مرة في التراتيل العديدة لـ *"ريغفيدا"*، وكان حكماء عصر الفيدا يعرفون معرفة واضحة أن خالق الكون أيضا، إذا كان، قد لا يقدر على فهم أسراره، ناهيك عن الإنسان، وقد جاء في *"ناساديا سوكتا"*[1] في *ريغفيدا* أن الأمور المتعلقة بالخلق والخالق غير معروفة وغير قابلة للمعرفة، إذ أن الخالق، إن وجد، لايعرف الردود على الأسئلة التالية:

Ko addha veda ka iha pra vocat kuta ajata kuta iyam visrst ih
Arvag deva asya visarjanenatha ko veda yata abab (10:129)[2]

(من يعرف ومن يستطيع أن يقول من أين جاء هذا كله وكيف حصل الخلق ، والآلهة أنفسهم ظهروا بعد الخلق ، فمن يعرف متى حدث هذا الخلق)، وهذه الترتيلة من " *ريغفيدا*" توفر دليلا واضحا لمحدودية الإنسان.

ومقابل هذا الموقف المتواضع فإن النظام الوضعي وفلسفة العلوم الحديثة واثقة لحد مفرط لامبرر له من أنه سيأتي يوم يمكن فيه للعلماء أن يردوا على جميع الأسئلة المحتملة ويمكن للتقنيين أن يحلوا كافة المشاكل العملية التي تواجهها الإنسانية في العالم. غير أن محاولات متعجرفة كهذه لتجاوز المحدودية الإنسانية قد أسفرت عن نتائج سلبية يواجهها العالم في الوقت الحاضر تتجسد في الكوارث الطبيعية والصناعية. وقد بات واضحا أن السياسات الاستعمارية الممارسة من قبل الأوروبيين أثناء القرون الخمسة الماضية قد تسببت في التخلف والفقر في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. وجرت ممارسة تلك السياسات الاستعمارية بدون أدنى تردد إذ أن الأوروبيين من العصر الاستعماري لم يعتبروا غيرالأوروبيين متساوين لهم، وكانت شعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا على حد تعبير *"روديارديكيبلينغ"* عبء الرجل الأبيض، فكان من الضروري أن يتم تحضيرهم وتخليصهم من حالتهم غير المتمدنة. وتشدد الثقافة الرأسمالية العصرية بقدر أكبر على الاحتياج لزيادة الإنتاج والاستهلاك لأقصى حد ممكن، فتقاس مؤشرات التنمية في مجتمع بإجمالي الناتج المحلي ودخل

الفرد واستهلاك الفرد. ونقول بالتعبير الفيدي أن المجتمع الرأسمالي العصري ينظر إلى تقدمه على ضوء السعي وراء *"أرثا"* و*"كاما"* (الثروة والملذات) فقط دون حدود وقيود. ولايمكن هذا السعي في مجتمع إلا إذا كان مسترشدا من منظور مركز على الفرد بدلا من منظور اجتماعي، والتصور الحديث عن الفرد هو أنه شخص مستقل ومنعزل، وهو تصور منطو ضمنا على الأنانية الشديدة وينزع نحو تشجيع الأنانية ويثبط مقاربة الحب للغير تجاه الأشخاص الآخرين خاصة من يعيشون في البلدان الأخرى أو ينتمون إليها.

كما توجد هناك عزلة متزايدة وانفصال تام عن الحياة الاجتماعية جراء الضغوط المتصاعدة لثقافة العمل اللاإنسانية التي تطالب دائما بأقصى النتائج وأفضلها من حيث القدر الأكبر من الكفاءة والكلفة الأدنى للإنتاج، وبالتالي هناك ملل متزايد تجاه المشروع العصراني. وأن انعدام الارتياح الذي ينجم عن تحقيق الطموحات والرغبات قد خلق لدى الكثير من الناس حنينا للطرق التقليدية الاجتماعية للحياة. فالعديد من علماء الاقتصاد البارزين الذين أفاضوا الثناء على العولمة قبل بضع سنين يعدون الآن من نقادها الكبار، حيث بدأوا يؤكدون أن مؤشرات التنمية الاقتصادية ليست مؤشرات جودة الحياة في أي مجتمع على وجه اللزوم. وفي هذا السيناريو علينا أن نبحث عن وجهات نظر بديلة عن حياة الإنسان لكى نتجاوز أو نحل المعضلات والصراعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والخلقية والتي نواجهها في الوقت الحاضر على الصعيد العالمي.

المثل العليا الفيدية للحياة الجيدة و عالم منسجم:

قام الحكماء الفيديون بنشر المثل العليا للحياة الجيدة واعتبروا كافة العالم "عالم أسرة واحدة موسعة" جاء ذكره في *"ماهوبنيشاد"* كما يلي:

Vasudhaiva Kutumbhakam (6: 71-73) (الأرض أسرة)[3]

وقد تم شرح هذه الفكرة في *"ماهوبنيشاد"* كالآتي:

Ayam bandhrayam neti gananaa laghuchetasaam

Vasudhaiva Kutumbhakam Udaracharitaanaam tu

(الفكرة التي تقول إن هذا قريب وذاك غريب ليست إلا فكرة ذهن ضيق، فالعالم بأسره أسرة ، عش شهما ومستقلا، كن سخيا وارفع من مستوى ذهنك وتمتع بثمرة الحرية البراهمنية (6: 71–75)[4] ، وقد أيد المهاتما غاندي أيضا فكرة كون العالم أسرة بعبارة مختلفة حيث قال:

" إننا في عصر جديد ، عصر للمجتمع العالمي الناشئ – مجتمع واحد ، وهذا ما يلوح لنا على الأفق، وقد تحدث الأنبياء والحكماء لنا عن أسرة واحدة على الأرض، وأننا أطفال من نفس الأبوين ولذا ننتمي إلى أسرة واحدة. "[5]

هكذا تدل هذه السطور على أن رؤية الحكماء الفيديين لم تكن مقتصرة على مكان أو مجتمع خاص أو فرد معين، بل كانت تهدف لمعالجة الإنسانية بأسرها والعالم كافة باعتباره أسرة واحدة يرى فيها الأعضاء رفاهتهم في رفاهتها، وأن قراءة دقيقة للترتيلة الفيدية توضح لنا أن المثل الفيدية للمعاملة بالمثل لا تخص الجيل المعاصر فحسب وإنما تعم أيضا أجيال المستقبل قاطبة، ولا تخص كذلك حياة الإنسان فقط وإنما تعم الحياة بكافة أشكالها، ولا تغطي العالم الحي فحسب وإنما تغطي الطبيعة غير الحية أيضا. وهناك أدعية فيدية عديدة تؤكد هذه الفكرة المتبصرة حيث يتم فيها التضرع إلى القوى الطبيعية مثل الماء والنار والهواء والفضاء والأرض والقمر والكواكب والشمس والنجوم لإسباغ النعمة والسعادة على الإنسانية، وهي تنصح الإنسان أن يعيش في ظل السلم والانسجام مع القوى الطبيعية وقوى مافوق الطبيعة. وتؤكد رسالة الفيدا أن سعي الإنسان وراء الثروة والملذات يجب أن يخضع لمبادئ الأعمال الصالحة والواجبات بما يضمن العيش بالانسجام مع الطبيعة والسلام مع الناس.

والمبدأ الكلاسيكي الهندي للأهداف الأربعة لحياة الإنسان والقيم التي تمارس عن قصد من قبل الأفراد والمجتمعات يشمل "دهارما" (مجموعة المبادئ الخلقية) و"أرثا" (الثروة) و"كاما" (الملذات) و"موكشا"(النجاة) وهكذا يبدو أن هذه التعاليم

الأساسية لاتهمل أو تتجاهل أهمية السعي وراء الثروة والملذات، فهما أيضا من الأهداف الأربعة للحياة الإنسانية، غير أن السعي العشوائي وراء هذين الهدفين في النظام الرأسمالي الاستهلاكي الحديث قد أصبح محور النشاط البشري بينما المبدأ الكلاسيكي الفيدي لايحصر أنشطة الإنسان في هذين الهدفين. فأنذر الحكماء الفيديون بأن السعي وراء هذين الهدفين المهمين للحياة الإنسانية فقط قد يجلب خيبة الأمل واليأس والنزاع والعنف لدى الأفراد والمجتمعات. إن رغباتنا وضروراتنا قد تتسبب في إيجاد الخلافات مع الآخرين ورغباتهم وضروراتهم.

ولابد أن تكون هناك طريقة لتفادي هذه النزاعات أو حل النزاعات المحتملة، وأن "دهارما" يعتبر مبدأ أساسيا للتحكم في السعي وراء "أرثا" (الثروة) و"كاما" (الملذات)، والجدير بالذكر أن هذين الهدفين موجهان نحو الذات بينما الأهداف الأخرى موجهة نحو الإنسان كالفرد والمجتمع، ويتحكم فيهما "دهارما" لكي يمكن تفادي النزاعات التي قد تنشأ أثناء السعي لتحقيقهما. والحقيقة أن "دهارما" مجموعة للمبادئ الرامية إلى فض النزاعات من أجل الحفاظ على السلام والانسجام. ويقال إنه كانت هناك ثلاثة أهداف فقط في البداية وهي "دهارما" و"أرثا" (الثروة) و"كاما" (الملذات) وتطلق عليها *"تريفارغا"(*أي ثلاثي الطيات) وتم إضافة الهدف الرابع وهو"*موكشا* " (النجاة) فيما بعد.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : لما ذا اعتبر *"تريفارغا"* مجموعة ناقصة لأهداف الحياة الإنسانية، ولما ذا دعت الحاجة لإضافة الهدف الرابع. دعنا نتصور بأن فردا أو مجتمعا يقتنع بأن الأهداف الثلاثة كافية لحياة الإنسان، أو أنني قد نجحت في تحقيق رغباتي الخاصة بالثروة والملذات، وذلك وفقا للأنظمة المحددة في مجموعة المبادئ الخلقية، فهل هذا سيجلب لي الارتياح التام وهدوء البال؟ والتأمل الجاد سيوضح لنا أن الرد هو بالنفي، إذ قد يكون عندي حب الاستطلاع عن نفسي وعن هذا العالم وعن أمور لاعلاقة لها بالثروة أو المتعة وأن عدم نجاحي في ذلك قد يكون مصدر القلق وعدم الارتياح، وقد اعترف الحكماء الفيديون بأهمية هذه

الأسئلة: كيف يمكنني أن أعرف عن نفسي؟ وكيف يمكنني معرفة هذا العالم من أجل فهم الغرض من حياة الإنسان وفحواها؟ وقد جاء في *"إيشافاسيا ابنيشادا"* في الآية رقم 7 *"من يشهد الوحدة في كافة التنوعات و من يعرف نفسه كروح عالمي قد تجاوز كافة الأوهام والمعاناة وتجاوز كافة الخسائر والفوائد"*. ويرى الحكماء الفيديون أن المدخل لمعرفة الذات هو المدخل لمعرفة العالم أيضا، فقالوا *"إن معرفة الذات تتيح لنا معرفة كل شئ"*، ولعل إضافة "موكشا" (النجاة) كالهدف الرابع ساعد في سد هذا الاحتياج الإنساني الهام، وطالما لا أعرف أو لا أفهم نفسي لايمكنني أن أعيش حياة ذات جدوى، فمعرفة الذات شرط أساسي لتحرير الذات من الجهل، ولهذا السبب يعتبر "موكشا" (النجاة) الهدف الأسمى من أهداف الحياة الإنسانية.

ومقابل هذا الرأي عن الترتيب الهرمي للأهداف الأربعة يعتقد الكثير من شراح الفلسفة الكلاسيكية الهندية أن هذه الأهداف لاتبقى أهدافا إذا أخذت بالاعتبار كل على انفراد وليس كمجموعة. وقد أوضحوا هذا بقولهم إن السعي وراء المتعة وحدها شهوة وطلب الثروة فقط ليس إلا الطمع ومتابعة "دهارما" فقط طقسية وطلب النجاة وحدها فرار. فهذه الأهداف الأربعة طبقا لهذا الرأي لاتعد أهدافا بالمعنى الحقيقي للكلمة إلا إذا تم متابعتها بالجملة وليس بالانفراد، فمتابعة الثروة والمتعة مع "دهارما" والنجاة طريقة مثلى للتعايش في جو من الوئام والانسجام بدون أي نزاع مع الآخرين أو الإساءة إلى الطبيعة. غير أن هذا ليس طريقا سهلا أو بسيطا حيث توجد هناك دائما إمكانية التضارب بين *"ساناتانا دهارما"* (المبادئ العالمية السرمدية) و*"يوج دهرما"* (مبادئ عصر) و*"فارناشاما دهارما"* (مبادئ الطبقات والمراحل العديدة للحياة) و*"سفا دهارما"* (مبادئ الذات) و*"أبادا دهارما"* (مبادئ الأوضاع المتأزمة)، ولهذا السبب تدعو الضرورة لإعادة النظر في أهداف الحياة وإعادة شرحها من أجل فهم أهميتها وصلتها بالعالم التعددي المعاصر. كما علينا أن نفكر فيما إذا كان نظام *"تشاتورفارجا"* (نظام التمييز الطبقي) القائم على النظرية الكلاسيكية الهندية للأهداف

Vasudhaiva Kutumbhakam –A Global Family

वसुधैव कुटुम्बकम
Seeing the World as One Family

Vasudhaiva Kutumbakam
(The Earth is a Family)

Vasudhaiva
Kutumbakam
One World Family

الصورة ترمز إلى أن العالم كأسرة واحدة.

يكفي لتحقيق مطالب الحياة الاجتماعية المعاصرة أو نحتاج لوضع أهداف جديدة للعالم في عصر العولمة.

بالنسبة للنظرية الهندية الكلاسيكية لأهداف الحياة فلها ميزة خاصة، فهي تشجع الاحترام للاختلاف والتنوع في الآراء ووجهات النظر، ويتضح هذا من تصنيف الأنواع العديدة للمبادئ المشار إليها أعلاه. فبدلا من ملاحظة النسبوية الخلقية أو التشكيك الخلقي كما يدعي بعض نقاد المبادئ الأخلاقية الهندية في هذا التصنيف أنه من الأفضل أن نركز على ما فيه من الاحترام لتعددية وجهات النظر في هذا الإطار الذي يبدو مستمدا من حكمة فيدية هامة أخرى وهي : *Ekam Sat Vipra Bahudha Vadanti"* أي الحقيقة واحدة ولكن العقلاء يعبرون عنها بطرق مختلفة، ولعل هذه الحكمة تتأصل في الاعتراف بمحدوديتنا المعرفية كإنسان. فبإمكاننا أن نحاول فهم الحقيقة ولكن فهمنا سيكون ناقصا أو جزئيا دائما، وفي هذا يكمن تنوع وجهات النظر أو تعدديتها. وفي عالم تعددي علينا أن ندرك أن تنوع طرق العيش واللغات والممارسات والتقاليد والأطعمة والألبسة والتقنيات والفنون دليل على غنى الإبداعية الإنسانية المتمثلة في الاستجابة على التحديات الناجمة عن تنوع الطبيعة، وعلينا أن نتعلم كيف يمكن الحفاظ على هذا التراث البشري الغني بترويجه وتعزيزه.

وأكبر تحد لهذا التراث نابع من عولمة نمط العيش الاستهلاكي الحديث ونقل التكنولوجيا من البلدان المدعية التقدم إلى ما تدعى البلدان النامية. وأن النموذج العام للتنمية يحتاج للدراسة من منظور *"بوروشارثا"* (الأهداف) من أجل وضع مبادئ أخلاقية إنسانية وبيئية أصيلة توجه حياتنا. وسوف لانتعلم التعامل مع كوكبتنا هذه بالاحترام إلا إذا توقفنا من النظر إليها كمجرد مورد يستخدم لزيادة ثروتنا وتحقيق أطماعنا في الملذات الفورية دائما، فعلينا أن ننتقل من العالم الفعلي إلى العالم الحقيقي الذي هو كون خلقي يسترشد من المبادئ الأخلاقية الكونية ويدعى " *ريت* " من قبل الحكماء الفيديين. والفرق الأساسي بين الفلسفة الفيدية الهندية الكلاسيكية

والفلسفة الرأسمالية الحديثة يكمن في أن العقلانية الذرائعية توجه الحياة العصرية في حين قد أكد الحكماء الفيديون على الخيارات الخلقية الطبيعية، ولا يمكن ذلك إلا من خلال ممارسة جادة للنظر إلى هيكل الترابط في العناصر المختلفة لما ندعوه الكون. وعلينا أن ندرك أننا نرتبط بغيرنا من الناس وعالمنا الاجتماعي والطبيعي من منظور شامل بدلا من التعامل مع مشاكلنا قطعة قطعة. ولأجل تحقيق هذه النقلة النموذجية يمكن أن تكون الرؤية الفيدية عن المعاملة بالمثل دليلا مفيدا للعالم التعددي في عصر العولمة.

الخاتمة:

في السيناريو الحالي تواجه الإنسانية مسألتين أساسيتين متصلتين بنوعية الحياة، تتعلق إحداهما بوجودنا الجماعي والأخرى بحياتنا الشخصية كأفراد في عالم حياتنا الحقيقية. والمسألة الأولى تمثل البعد الاجتماعي، فكيف يمكن أن نجعل حياتنا الفردية والاجتماعية " *فاسودهيفا كوتومبهاكام*" (أسرة موسعة) حسب تعبير "الفيدا"؟ وقد رد عليه الحكماء الفيديون بالفعل بأنه لايمكن ذلك إلا إذا قمنا بتحديد واستيعاب وممارسة الطرق الأخلاقية للتعايش معا بانسجام مع تعدديتنا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية على كوكبة الأرض. أما المسألة الثانية فهي متصلة بالجوانب الشخصية وأهداف الإنسان كفرد أي كيف يمكن للفرد أن يبحث عن معنى وهدف حياته في البيئة المعاصرة المليئة بالغموض والتعقيد وما يترتب عليهما من توترات شخصية. فعلينا أن نفكر بشكل جدي في مشاكلنا التي نجمت عن عدم انتباهنا إلى الجوانب الروحية والفكرية والعاطفية للنمط الاستهلاكي لحياتنا. ومن أجل تجاوز هذه الأوضاع التعسة يجب على المرء أن يفهم رسائل الفيدا، وهي "الوحدة في التنوع" و"العالم أسرة موسعة" والحقائق الدقيقة للكون الخلقي والقيم الإنسانية السرمدية والمثل والواجبات والمسئوليات تجاه نفسه وغيره من الناس مسترشدا من "*بوروشارثاز*" (أهداف الحياة). والوعي الإنساني الحقيقي يتقبل تغييرات

الوجود وتحدياته كافة بالحكمة والفطانة والعطف.، وعلينا أن نكون مستعدين دائما لتحمل المسئولية عن تصرفاتنا عن طريق زيادة وعينا بواجباتنا الخلقية تجاه غيرنا من أبناء البشر.

وفي العصر الحاضر للعلوم والتكنولوجيا والنظام الرأسمالي الاستهلاكي والذي تعد فيه الروحانية والأخلاق الفاضلة المنصوص عليها في الفيدا مجرد عقائد دينية وخرافات وتقديس أعمى علينا أن نفهم المعنى الحقيقي للأسباب الروحية وراء المثل الأساسية التي تحويها النصوص الفيدية، وهي تدعو للرحلة من "أنا" إلى "نحن" وتقدم البشر نحو الكمال وعلاقته كفرد مع غيره. وهذا التحول من "أنا" إلى "نحن" يمكننا من السماح باستخدام مواردنا لتحقيق الرفاهية الاجتماعية، وفي بيئة شمولية كهذه فقط يمكن للإنسان أن يمارس حريته ويختار ما يشاء بدون خوف وبشكل سليم. وبهذه الطريقة يمكننا أن نتعايش معا في جو من الانسجام والسلام والتعاون رغم ما هناك من خلافات بيننا داخل عالم تعددي. وفي هذا السياق يبدو من المهم أن ننقل ما قاله جواهر لال نهرو في مقابلة مع "نورمان كوزينس"[6] في مارس 1951:" إننا نبحث عن روحنا ونتلمس طريقنا ونحاول تحقيق نوع من التوافق – التكامل إذا أحببتم – في حياتنا القومية والدولية والانفرادية.[7]

الهوامش:

[1]ناساديا سوكتا يعرف أيضا كترتيلة الخلق و أصل الكون

[2]رايموندو بانيكار ، التجربة الفيدية – مانترامانجاري ، دلهي : موتي لال بنارسي داس ، الطبعة الثالثة ، 1994، الكتاب العاشر (ماندال) الآية 129

[3]إيه. جي. كريشنا وارير، ماها اوبانيشاد، الجمعية الثيوصوفية، مدراس، 1953

[4] نفس المرجع

[5]فهم صلة الهندوسية بالهند، إعداد و تحقيق سوبهاش سي كاشياب وابهايا كاشياب، نيودلهي: فيتاستا ببليكتينج ليميتد، 2007 ص 21

نورمان كوزينس (1915–1990) كاتب ، صحفي و سياسي أمريكي له العديد من الكتب حول الطبيعة الشافية للضحك (مترجم)

6 فهم صلة الهندوسية بالهند، إعداد و تحقيق سوبهاش سي كاشياب وابهايا كاشياب، نيودلهي: فيتاستا ببليكتينج ليميتد، 2007 ص 21

البيليوجرافيا:

1- AG Krishna Warrier , *Maha Upanishad*, Theosophical Society, Madras, 1953, www.advaiat.it retrieved on 20.07.2016.
2- Balasubramanian R, *Primal Spirituality of the Vedas: Its Renewal and Renaissance*, ICPR Series, New Delhi,1997.
3- Deva, Premananda Lakshmi Devi, *Spiritual Revolution*, Delhi: Motilal Banarassi Das, 2002.
4- Dharam Vir Sing, *Hinduism: An Introduction*, New Delhi: Rupa & Co., 2003.
5- Kaw MK, *The Science of Spirituality*, New Delhi: Full Circle Book, 2000.
6- Karan Singh, *Vedanta*, *National Council of Educational Research and Training*, New Delhi, 2004.
7- Leeuw Vander, *Religion in Essence and Manifestation*, George, London: Allen &Unwin, 1964.
8- Pande GC, *Foundations of Indian Culture*, Shri Janendra Press, 1989.
9- Radhakrishnan S, *The Hindu View of Life*. London: George Allen and Unwin Ltd., 10th impression, 1957.
10- Raimundo Panikkar, *The Vedic Experience – Mantramanjari*, Delhi: motilal Banarsidass Pub. Ltd., 1977, 3rd Indian edition, 1994.
11- Rig-Veda, *The Vedic Experience— Mantramanjari* by Raimundo Panikkar, Delhi: motilal Banarsidass Pub. Ltd., 1977.
12- Samuel p. Huntington, *The Clash of Civilisations and making of the World order,* New Delhi: Viking, 1996.
13- Sudhir Anand, *The Essence of the Hindu Religion: With an Introduction to the Veda and Yoga*, New Delhi:USB Publications,2002.
14- Sister Nivedita, *Religion and Dharma*, Adwait Ashram, Calcutta,1998.
15- *Understanding India Relevance of Hinduism*, ed. Subhash C. Kashyap and Abhaya Kashyap, New Delhi: Vitasta Publicating Ltd. 2007, p.21.

الفكرة الرئيسية في كتابات الشرقاوي ومنشي بريم تشند

د.محمد جسيم الدين *

{...ويلتقي "بريم تشند" بعبد الرحمن الشرقاوي من حيث تصوير الفلاح بلحمه ودمه وهو مثله فنان اشتراكي أصيل ومثلما كانت رؤية عبد الرحمان الشرقاوي في "الأرض" رؤية اشتراكية في أساسها كانت رؤية بريم تشند تنبع من إيمانه بحق الإنسان والحياة الحرة الكريمة، ومما يجب ذكره أن بريم تشند كتب رواياته المشهورة في الثلاثينات بينما ظهر إنتاج عبد الرحمن الشرقاوي الذي يشتمل على رواياته الأربع وهي "الأرض" و"قلوب خالية" و"الشوارع الخلفية" و"الفلاح" فى الفترة ما بين 1953-1967م.(1) وما وجدت من أبرز قضايا وفكرة رئيسية بين هذين الكاتبين الهندي والمصري أقدمها ملخصا فيما يلي...}.

إن الأدب مرآة صافية تتجلى فيه صورة المجتمع، فالكتاب والأدبا يسلطون الضوء على الأوضاع والبيئة التي يواجهونها، وفي هذه المقالة أسلط الضوء على الفكرة الرئيسية في كتابات روائيين كبيرين أحدهما ينتمي إلى الهند وهو "منشي بريم تشند" من مواليد 31 يوليو 1880م(2) ويعد هذا الكاتب الهندي من عمالقة فن القصة القصيرة والرواية، كتب روايات وقصصا قصيرة باللغة الأردية والهندية وأبدع في فن القصة القصيرة. تبدأ الفترة التي ظهر فيها "منشي بريم تشند" أديباً مبدعاً، بالربع الأخير من القرن التاسع عشر وحتى الثلاثينات من القرن العشرين فقد شهدت هذه الفترة تغيرات جذرية في الحياة الاجتماعية والثقافية في شبه القارة. ومن هنا

---

* محاضر ضيف، قسم اللغة العربية، جامعة دلهي، دلهي.

أصبحت رواياته سجلا لما شهدته البلاد في عصره، فكانت قادرة على قراءة ما بين السطور في كتاب الواقع وتصوير سماته إيجابياً وسلبيا، والتصدي بحق لتصوير الحياة الإنسانية في فترة من أغنى فترات التاريخ بعوامل التغيير والتحول.

لقد وصف لنا "بريم تشند" حياة القرية والفلاحين ومشاكل البسطاء من الناس والعادات والتقاليد، كما تعاطف مع الطبقة المظلومة، وخاصة المرأة بصورة لم يسبقه في ذلك أي أديب آخر، ولهذا يعتبره النقاد أبا للقصة والرواية الأردية. ويعتبر "بريم تشند" من كتاب الرواية الواقعية، الذين صوروا الحياة في شبه القارة بشكل حقيقي، وكل ما طرحه من قضايا سواء الفقر وضيق اليد، والجوع والبطالة وحالة الفلاحين السيئة، والإقطاعيين واعتداءاتهم، والاستعمار ومساوئه، وغيرها من القضايا التي شاهدها عن قرب. إن الكاتب نفسه كان يعاني من بعض هذه المشاكل والهموم لأنه انتمى إلى الطبقة الوسطى، وله عاطفة قوية تجاه الطبقات الكادحة، كما أنه لا ينكر بعض العادات والتقاليد الخاطئة، التي كانت تنخر في المجتمع، وكيف أن رجال الدين كانوا يستغلون بها الطبقات الفقيرة، ليبقوا بأنفسهم على قمة الهرم الاجتماعي، ولذلك وجدناه يصور لنا شخصية كل طبقة، وكل عقيدة بشكل واقعي صادق وبموضوعية شديدة.

ويلتقي "بريم تشند" بعبد الرحمن الشرقاوي من حيث تصوير الفلاح بلحمه ودمه وهو مثله فنان اشتراكي أصيل ومثلما كانت رؤية عبد الرحمان الشرقاوي في "الأرض" رؤية اشتراكية في أساسها كانت رؤية بريم تشند تنبع من إيمانه بحق الإنسان والحياة الحرة الكريمة، ومما يجب ذكره أن بريم تشند كتب رواياته المشهورة في الثلاثينات بينما ظهر إنتاج عبد الرحمن الشرقاوي الذي يشتمل على رواياته الأربع وهي "الأرض" و "قلوب خالية" و"الشوارع الخلفية" و"الفلاح" فى الفترة ما بين 1953-1967م.[3]

وما وجدت من أبرز قضايا وفكرة رئيسية بين هذين الكاتبين الهندي والمصري أقدمها ملخصا فيما يلي:

(الف) صورة المجتمع الإنساني في روايات الشرقاوي ومنشي بريم تشند:

المسئولية الأساسية لدى الشرقاوي في كتاباته هي الدفاع عما رآه جوهراً حقيقياً للإسلام وهو أكد على معاني "العدالة الاجتماعية"، و"تحكيم العقل"، و"وحدة الشعور"، و"الأصالة الدينية"، وكل شيء تتسم به الشخصية المصرية في المجتمع المصري في ذلك الوقت، كما اعتنى بحرية الإنسان وكرامته، ويرى أن الإسلام هو دين السماحة والنبل ولم ير فيه غلظة، وأنه كان صاحب ثقافة واسعة ومواهب متعددة ومواقف اجتماعية وسياسية لها أسسها ومبادئها ومبرراتها وإن أغاظت كثيرين في معظم الأحيان، ولكنه كان يتأسف ويتعجب بأمر هذا الكائن البشري لأنه هو الكائن الوحيد الذي منذ خلقه الله –سبحانه وتعالى– يخوض صراعا مريرا مع أبناء جنسه للتحكم والسيطرة والاستغلال من جانب، والتحرر وصيانة كرامته الإنسانية والحصول على حقوقه الأساسية من جانب آخر.

وما أعجب أمر هذا الإنسان الذي لايعترف بل لايحب أن يعترف بحقوق أخيه الإنسان، فعلى مدارج القرون ومنذ نشأته الأولى وتكوينه الجماعات والشعوب مر هذا الصراع المرير في أطوار مختلفة عبر الحضارات الإنسانية القديمة في عصر ماقبل التاريخ وبعده، كما نرى ذلك عند قدماء المصريين.

فقدم الشرقاوي أعمالا تلقي الضوء على هذه الحقائق المرة، وإنه بذل قصارى جهوده في تخليص الناس من المكاره والمنكوبات والمكروبات الموجهة إليهم من قبل الحكومة وأمنائها وجلسائها، وكانت منها مجموعته القصصية "أحلام صغيرة" تؤرخ لظهور الفلاحين لأول مرة في الأدب المصري على حقيقتهم الإنسانية والاجتماعية، إذ هي مكتوبة من قلب فلاح يعرف رموز الشخصية الفلاحية كما يعرف تفاصيل الحياة في القرية وآلامها بكل معانيها.

وروايته "الأرض" تروي ملحمة نضال الفلاحين ضد عسف السلطة واستبداد الإقطاعي الزراعي، فإن صاحبها كان مناضلاً بارزاً طوال عمره من أجل المستضعفين في الأرض، ومدافعا جسورا عن الديموقراطية وحقوق الإنسان وباحثا في أعماق التراث ليخرج منه نور الحكمة السماوية والعدالة الاجتماعية. ومن الحقائق الثابتة التي أشار إليها العلامة ابن خلدون في مقدمته: "أن الاجتماع الإنساني ضروري وهو ما يعبر عنه بقول بعضهم الإنسان مدني بالطبع ومعنى ذلك أن المجتمع ضروري للإنسان وهو ما يؤيده الواقع فالإنسان يولد في المجتمع ويعيش فيه ويموت فيه".[4]

وقلب الشرقاوي كان مليئا بالمشاعر الجياشة والأسلوب الواقعي الذي له رائحة المجتمع الريفي الأصيل حاملاً قصة ملايين الفلاحين المطحونين في تلك الأرض التي يقتات بها أهالي كل بقعة من بقاع العالم. ومن الواضح أن المجتمع ضروري للإنسان ولابد من وجوده، فإن النظام –على أي نحو كان– ضروري للمجتمع لا يتصور وجوده بدونه لأن الأفراد لا يمكنهم العيش بحرية مطلقة داخل المجتمع وإلا كان في ذلك هلاكهم أو اضطرابات حياتهم وانقلاب مجتمعهم إلى مجتمع الحيوانات التي نشاهدها في الغابة، ولذلك كان لابد من نظام للمجتمع يضمن الحدود التي يجب أن يقف عندها الجميع والضوابط العامة التي يجب أن يلتزموا بها في سلوكهم حتى يستطيعوا العيش بأمان واستقرار وطمانينة وهدوء ولا ينقضونها ويتعدوها كما في حكومة صدقي الباشا، لأن النظام يكون صالحاً أو فاسداً تبعا لصلاح أو فساد أساسه وأصوله وأفكاره، لأن الفرع يتبع الأصل في الصلاح والفساد، هذه هي دعوة عبد الرحمن الشرقاوي الخالصة في جميع أعماله، فإنه كان إنسانا رقيق القلب والمشاعر والأحاسيس وكان أستاذا في الوفاء والعهد وفي الإخلاص لقضايا الإنسانية.

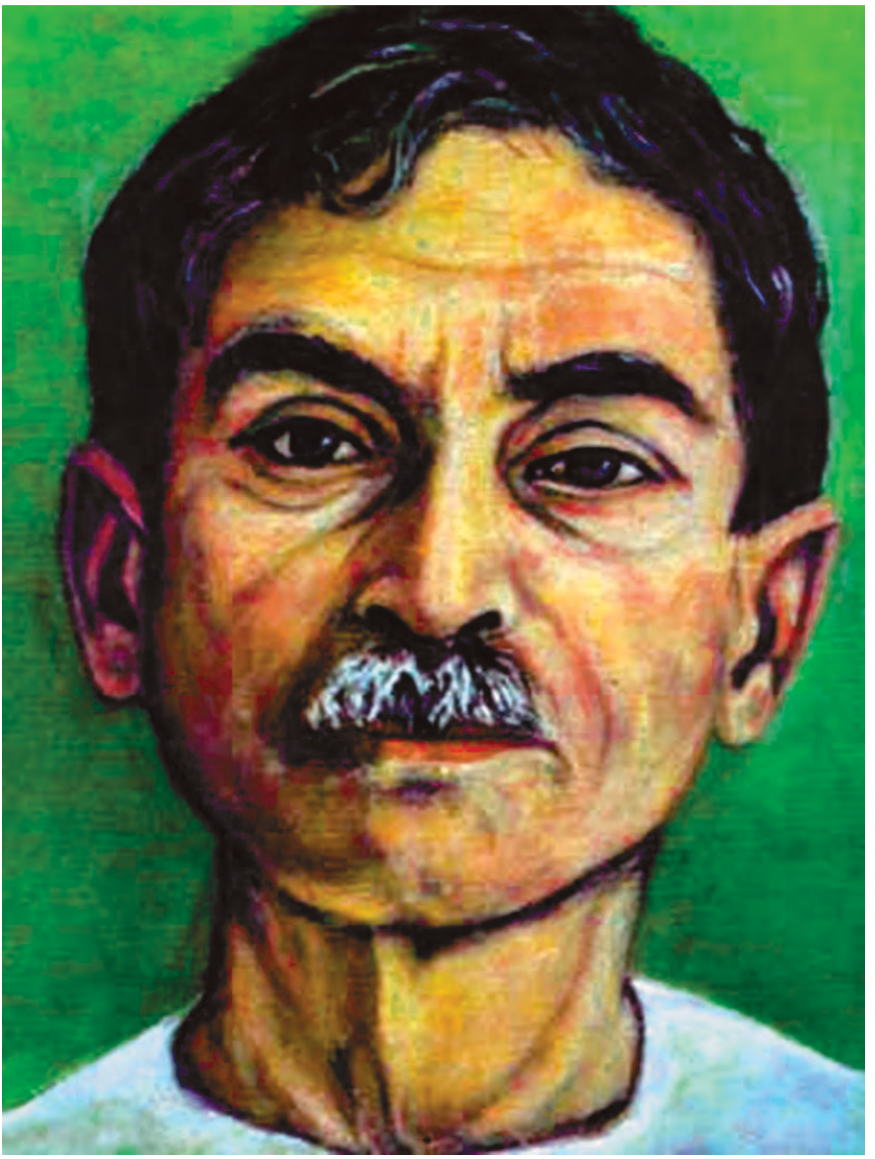

منشي بريم تشند.

عبد الرحمن الشرقاوي

ومن جانب آخر حينما نقارن أفكار الشرقاوي الرئيسية مع أفكار الكاتب الروائي الهندي الشهير "منشي بريم تشند" نجد أنهما يشاركان في أفكارهما في نفس القضية أي قضايا المجتمع الإنساني، بل يكاد أن يسبق على الشرقاوي، لأن كاتبنا لم يشاهد أزمات وعواصف عهده عن بعد وإنما عاشها وخاضها وجربها شخصيا، فلذلك تعكس رواياته تلك الأزمات والعواصف بشكل صادق وواقعي لم يسبق له نظير في الأدب الأردي.

وكانت ظروف الهند تماثل الظروف التي مرت بها مصر، سواء من ناحية العوامل الخارجية المتمثلة في الظروف الاجتماعية أو العوامل الداخلية المتمثلة في طبيعة الأديبين أنفسهما.

فروح الحزن والرومانسية، والقضايا الاجتماعية توجد في كتابات "منشي بريم تشند" كما توجد في كتابات الشرقاوي وأبطال روايات الشرقاوي مثل أبطال روايات بريم تشند من أبناء الطبقة المتوسطة، ومثلما تطور فن الرواية في مصر وظهر الاتجاه الواقعي في الروايات العربية، حدث الأمر نفسه في الروايات الأردية في الهند خاصة في روايات "منشي بريم تشند"، فإنه يعد من رواد الرواية والقصة الأردية في شبه القارة الهندية، عاش هذا الكاتب الشهير في الفترة التي عاش فيها أدباء من أمثال محمود تيمور، وحسين فوزي، ومحمود طاهر لاشين، وعبد الحميد حمدي، ويوسف السباعي،[5]

كتب "بريم تشند" في مرحلة حياته الأدبية الأولى قصصا رومانسية وتاريخية تعتبر عن حبه للوطن، ثم اتجه بعد ذلك إلى كتابة الرواية الاجتماعية الواقعية، وركز على موضوعات خاصة بالطبقة المتوسطة، فنقد عادات المجتمع الهندي الفاسدة، فشملت رواياته وقصصه قضايا خاصة بالبيئة الهندوسية والبيئة المسلمة على حد سواء، مثل قضية زواج الأرامل، والزواج المبكر في السن، والعلاقات بين الزوج وحماتها، والعلاقة بين السادة ومخدوميهم، وقام بريم تشند

بالدفاع عن طبقة المنبوذين داخل المجتمع الهندي، ودعا إلى العمل وعدم الركون إلى البطالة، فالمنبوذ يعمل ويسعى والبرهمن يركن إلى الكسل، كما شارك بفنه وأدبه الروائي والقصصي في الكفاح السياسي من أجل التحرر من سيطرة الإنجليز واهتم في الوقت نفسه بمعالجة قضايا الريف الهندي الذي يمثله تسعون في المئة من سكان الهند.

على كل حال يعد "بريم تشند" من الأدباء الذين اهتموا بقضايا المجتمع، خاصة بقضايا الطبقات الدنيا في المجتمع الهندوسي، وتعاطف تماما مع كل من أقبل على العمل بكل أنواعه حتى اضطرتهم الظروف إلى ارتكاب الأخطاء، فالكاتب يدعو إلى التسامح معهم.

(ب) اتجاهاتهما الأساسية نحو المجتمع الإنساني

اهتم عبد الرحمن الشرقاوي في رواياته وقصصه بقضايا المجتمع الإنساني وحاول في استئصال النظام الإقطاعي، وكان قلبه مملوء بحب الإنسان وكرامته، ولذلك يدعو في رواياته الملاك والإقطاعيين إلى تعامل الناس بالكرامة والحنان، والتجنب من الظلم والعدوان. أما قصصه القصيرة التي نشرت قبل قيام الثورة فقد ساهمت في الإرهاص للثورة التي تخدم الفلاحين، وقدمت بصورة مباشرة رؤية الشرقاوي لاستقلال الوطن، وحرية المواطن، وكان فيها مثل الكتاب الواقعيين الانحيازيين من وجهة نظر واحدة، وإيمانهم بعقيدة واحدة، وانحيازهم لطبقة معينة، وربط مصيرهم ككتاب بمصير هذه الطبقة، فقد تختلف الأحداث، وتتعدد أسماء الشخوص وتتنوع القرى أو مواقع الأحداث، ولكن المالك المستبد، والفلاح المقهور، وعمليات اغتصاب الأرض أو العرض، والصراع الدامي بين الطبقات الذي تحركه عوامل مادية، هي التي تشكل الإطار العام الذي تدور في فلكه القصة القصيرة عندهم.

وقضية "استقلال الوطن والمواطن" تلقى إهتماما كبيراً في روايات الشرقاوي التي عبرت عن صور متنوعة لكفاح الشعب ومقاومته ضد الاستعمار، والإقطاع، والسلطة المستبدة. وإن رواياته تندرج في إطار الرواية التي أدانت أساليب القهر السياسي من خلال تصويرها وإبرازها لصور القمع، والاضطهاد، والتعذيب السياسي الذي سيطر على الحياة السياسية العربية، وإنه نادى بحرية الإنسان وكرامته، وقام ضد من اعتدى على حقوقه الإنسانية، وحال بينه وبين تناول أمور مجتمعه ووطنه بحرية وديمقراطية.

وإلى جانب آخر يهتم "منشي بريم تشند" بقضايا المجتمع الإنساني، فيوجد في رواياته وقصصه الاتجاهات الحديثة نحو المجتمع الإنساني، ورواياته مملوءة بالواقعية، كما نجد الامتزاج بين حضارات الشرق والغرب، والتصادم بينهما، إنه يهتم بالتقاليد وبجانب تقوم بمخالفتها، كما يحب الإصلاح والعمران يحب أيضا الوعي الثوري، فرواياته تعكس الاتجاهات الحديثة بكل معانيها، بل يمثل في رواياته قضايا كل بلاد الهند وسكانها، والأديب لايعكس الرقية السياسية والاقتصادية والعقلية مجهولا، بل الأديب يعكس انطباعاته من تجاربه الشخصية وحياته الذاتية. وكان قلبه يتدفق بحب الإنسان وكرامته، وكان لديه اهتمام كبير بالمواقف العاطفية، وإنه لايحب أحيانا أن يذلل أخاه الإنسان، كما لا يستحسن قسمة الإنسان في الطبقات والقبائل والدرجات في أية صورة من الصور السائدة في المجتمع الإنساني في نفس الوقت، كانت دعوته إلى المساواة بين الناس وتوطيد العلاقات الودية بينهم، وإنه يتجنب عن الانقسام بين إنسان وإنسان بسبب النظام الطبقي وإنه يعد ذلك من أكبر الخطايا ويتنفر منه للغاية.

(ج)انعكاسات القضايا الاجتماعية المختلفة في رواياتهما

من المعلوم أن الأدب مرآة صادقة للمجتمع الإنساني، والأديب أكثر اهتماما بقضايا المجتمع الإنساني وهو يشعر أولا القضايا التي يواجها المجتمع وما يتعرض

له. فكاتبنا الروائي الكبير "منشي بريم تشند" قد جعل نصب عينه قضايا المجتمع الإنساني، وإنه بذل قصارى جهود في استئصال النظام الإقطاعي والرأسمالي، كما اهتم بمكافحة النظام الطبقي السائد في نفس الوقت. كما يقول ابنه "امرت راي" : إن أفكاره الأساسية كافة تدل على أنه لم يال جهدا في محو الظلم والعدوان من المجتمع الإنساني طول حياته كما اعتنى باستئصال النظام الطبقي والرأسمالي السائد في الوقت نفسه.(6)

وبجانب آخر عبد الرحمن الشرقاوي قام بكتابة الروايات واهتم فيها بهموم الفلاحين وروايته "الأرض" أول عمل يقدم قضايا الفلاحين بلغتهم الحقيقية، ويقدمهم في شكل حي ونابض، وقد استطاعت روايته أن تقدم صورة حية وصادقة لأسلوب الحياة القروية من خلال حشد المؤلف لمئات التفاصيل الواقعية الدالة ومما يؤكد هذا الرأي إن أحداث "الأرض" هي أحداث حقيقية لم يختلقها الخيال كما هو الحال في "زينب" لحسين هيكل، أو في "الحرام" ليوسف إدريس وما إلى ذلك من الروايات التي نقرأها. أن أحداث الأرض أحداث حقيقية مثل تحرك الناس وثرثرتهم أكثر من مرة، وقطع الجسر، ورمي الحديد في البريمة إلى آخر تلك الأفعال الصحيحة التي تحدد إطار روايته الأولى. ذلك لأن الصراع الذي كان يدور بين القرية والقوى الطاغية كان بالفعل بالمقارنة مع الأحداث التي وردت بالرواية وبشهادته المباشرة يتطابق مع أحداث عديدة من قرى مصر ويشغل بمساحات كبيرة من مراجع التاريخ المصري ومصادره.

ونجد في روايته "الشوارع الخلفية" صورة مظالم الإنجليز المستعمرين، وأحداث هذه الرواية تتمحور حول الانطباعات الوطنية ضد الإنجليز، ففي الوقت الذي تتشابك فيه علاقات عدد كبير من المواطنين الذين يمثلون القادة فيها أولئك الطلاب الذين يتوزعون – خلال الرواية– في عدة أصوات تناضل وتشارك في النضال ضد المواطنين العملاء (مثل ناظر المدرسة) أو ضد الإنجليز المستعمرين. تظل الحركة

الوطنية هي الإطار الرئيسي للعمل الروائي متخذا محورين رئيسيين يمثلان أهم المحاور في كل رواياته غياب الدستور، والنضال من أجل استعادته، ومن البديهي أن الدستور هنا يمثل الاستقلال من كل تبعية داخلية وخارجية.

الهوامش:

[1] سمير عبد الحميد إبراهيم: من الأدب الهندي الحديث المعاصر، ص:12، ط: المجلس الأعلى للثقافة 2001م

[2] قمر رئيس: بريم تشند كا تنقيدي مطالعه، ص: 7، ط: قومي اردو كونسل براي فروغ اردو 2002م

[3] سمير عبد الحميد إبراهيم: من الأدب الهندي الحديث المعاصر، ص:12، ط: المجلس الأعلى للثقافة 2001م

[4] مقدمة ابن خلدون،ص: 23، بيروت لبنان

[5] سمير عبد الحميد إبراهيم: من الأدب الهندي الحديث المعاصر، ص: 6، ط: المجلس الأعلى للثقافة 2001م

[6] بيسويں صدي ميں اردو ناول: الدكتور يوسف سرمست، ص:166 ط: حيدرآباد

عبادة الأوثان والأصنام في مختلف حضارات العالم

فرحان أنصاري*

{تكتسب عبادة الأوثان والأصنام قيمة عظيمة في مختلف حضارات العالم، فمنذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا، لقد عاشت في هذا الكون حضارات متباينة في فترات مختلفة من التاريخ البشري، ومارست أنواعا مختلفة من العادات والتقاليد والشعائر الدينية، كما اعتقدت في ديانات مختلفة حسب ممارستها أنواع العبادات واعتناقها بالعقائد المختلفة تجاه الأوثان والأصنام. وقد برزت بعض هذه الحضارات العريقة بالتزامن مع الحضارات الأخرى، وهو أمر أدى إلى تعزيز العلاقات الاجتماعية والثقافية فيما بينهم، واعتناق الفكر الديني وعبادة الأوثان والأصنام التي نَحَتوها على أشكال مختلفة؛ بعضها كانت مصوغة من الحجر أو محفورة بالخشب، والبعض الأخر كانت منقوشة على الصخر أو مرصعة بالحجر والمعدن الثمين. ومن أقدم هذه الحضارات تلك التي نشأت في الشرق وسادت لفترة معينة، مثل الحضارة المصرية والبابلية والآشورية والفينيقية والفارسية وغيرها، كما نشأت الأخرى في الغرب مثل اليونانية والرومانية. وهذا بالإضافة إلى حضارات العرب والهند واليابان والصين}.

وفيما يلي نحاول إلقاء الضوء على أوضاع دينية لهذه الحضارات المذكورة أعلاه مع التركيز الخاص على عبادة الأوثان والأصنام. فلنبدأ بمصر:

---

*باحث في الدكتوراه، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.

مصر:على الرغم من أن هذه الحضارات كلها قد دانت بفكرة الدين واعتقدت في مختلف الآلهة، إلا أن الحضارة المصرية تعتبر من أشدّ الحضارات تدينا.

يقول هيرودتس:

"إن المصريين من أشدّ البشر تدينا، ولا يعرف شعب بلغ في التقوى درجتهم فيها، فإن صورهم بجملتها تمثل ناسا يصلون أمام رب، وكتبهم على الجملة أسفار عبادة وتنسك".[1]

وللمصريين أرباب عديدة، ومن أعظم هؤلاء الأرباب رب الشمس، وهو الخالق المحسن العليم الكائن، له امرأة وابن. وكان المصريون يتعبدون هذا التثليث الذي تختلف أسماؤه، وإن اتحدت مسمياته، فأهل كل إقليم كانوا يسمون كلا من هؤلاء الأرباب الثلاثة باسم يختلف عن الآخر.[2] وفضلا عن هؤلاء الأرباب، يوجد هناك أرباب رأسها رأس حيوان، فمثّل المصريون أربابهم في صورة آدمية تارة وعلى مثال البهيمة تارة أخرى، ولكل رب حيوانه، فيتجسد "هوروسHorus " في الباشَق*، و"أوزيريس Osiris" في الثور، وتختلط الصورتان طورا في إنسان، رأسه رأس حيوان، أو في حيوان، رأسه رأس إنسان.[3]

بابل وآشور:أما الأرباب في الحضارة البابلية والآشورية، فيعتبر "أيلو" الرب المتعال في بابل، كما يعتبر "أسور" الرب المتعال في آشور. ومن "أسور" اشتق ثلاثة أرباب، وهم "أنو" رب الظلمة، وصورته صورة رجل وذنب نسر، رأسه رأس سمكة، و"بعل" وهو ملك الأرواح مصور كالملك على عرشه، و"نواح" وهو العالم المنظور، هيئته هيئة جبار ذي أربعة أجنحة منتشرة. ولكل من هذه الأرباب ربة أنثى، وذلك إشارةً إلى كثرة الأولاد والذراري.[4]

ويوجد هناك آلهة عديدة لا يقل عددهم عن مائة إله في الحضارة البابلية فضلا عن الحضارة السومرية والأكادية. ومن أبرز الآلهة؛ "إنليل Enlil" وهو الإله الأكبر عند السومريين، وهو أيضا إله الأرض. و"أنو Anu" إله أوروك، و"إيا" إله إيرودو. وقد جمعهم الكهنة في الألف الثالث قبل الميلاد في الثلاثي أي أصبحوا ثالوثا.

وأعطى "إنليل" مملكة الأرض، و"أنو" مملكة السماء و"إيا" مملكة البحار والمياه الجوفية.[5]

وبالإضافة إلى هذه الآلهة الثلاثة، توجد هناك أيضا بعض الآلهة التي كان الناس يعبدونها في كافة أرجاء البلاد في الحضارة البابلية مثل "شاموش" إله الشمس، وهو إله مدينة سيبار، و"سَن" إله القمر، وهو إله مدينة أور، و إلٰهانِ زراعيان: "تَمُّوز" وزوجته "عِشتار"، وكان تمّوز وعِشتار إلٰهَيْنِ للنبات والخصب. ومن ذلك تقام أعياد موت وبعث تموز، وهي تتعلق ببعض الأسرار. وتقام هذه الأعياد بمناسبة بداية ونهاية أعمال الحقول، كما تجري الاحتفالات الشعبية بكل أبهة وإجلال، مع تقديم الأضاحي من غير حساب.

هذا، وقد ارتبطت عبادة الإله "شاموش" و"سَن" بالإنتاج أيضا. فعبادة "شاموش" ترتبط بالزراعة وعبادة "سَن" ترتبط بتربية الدواجن. وبعد تأسيس إمبراطورية بابل القديمة، صار ملك الآلهة "مَردوخ" إله بابل. وباسمه تحتفل بابل في الربيع بعيد رأس السنة المسمّى بـ "زاغ – موك". وهو ذكر نصر مردوخ على "تيامات Tiamat"، ومجيئه إلى العرش الإلهي، وخلق العالم والناس، وإرساء سماء بابل.[6]

أما آلهة الحضارة الآشورية فهم نفس آلهة الحضارة البابلية، وكان الموظفون العسكريون أيضا ينتسبون لعِشتار، ربة الخصب التي كانت عبادتها قديمة جدا ومنتشرة على نطاق واسع. هذا، وقد كان الكهنة الآشوريون يقيمون الطقوس المعروفة في الحضارة البابلية.

فينيقيا: الديانة في الحضارة الفينيقية تشبه الديانة الكلدانية، فالرب الذكر عندهم بَعْل وهو الشمس، والربة الأنثى عندهم "بَعلت" وهي تدعى القمر. والشمس والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة تحيى وتُميت، ولكل من المدائن الفينيقية ربّان، فلصيدا بعل صيدون (الشمس) وعَشْتَروت (القمر)، ولقرطاجنة بعل عَمون وتانِيْت، ولجبيل بعل تموز وباليت. وقد تنوب عن هذه الأرباب أصنام، ولها معابد ومذابح وكهنة، يعظمون من شأنهم، ويقيمون لهم المآدب والأعياد الحافلة باعتبار كونهم مُوجِدين،

ويقدمون لهم ضحايا بشرية باعتبار كونهم مخرّبين. وتعبد عشتروت ربة الصيد العظيمة في الغابات المقدسة، ويصورونها على شكل هلال القمر والحمامة، وترسم بعل مَولوش في قرطاجنة تمثالا عظيما من القِلِزّ* باسطا ذراعيه.[7]

الفارس: يعتبر تاريخ الديانة الفارسية القديمة من أهم التواريخ الدينية بين الأمم الآسيوية، وذلك للقرابة بينه وبين الديانات الهندية والبابلية واليونانية. فالفرس القدماء يلتقون مع الهند في عبادة "مِيترا" إله النور، وإن اختلفوا في إطلاقه على عناصر الخير والشر. فهو إله جعله الفرس من أرباب الخير والصلاح، وجعلته الهند من أرباب الشر والفساد. وهكذا، عرف البابليون عبادة "ميترا" في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ورفعوه إلى المنزلة العليا بين الآلهة التي تحارب قوى الظلام.[8]

وفي الحضارة الفارسية القديمة، كانت القبائل تعبد الحيوانات مثل الكلب والثور. أما الآلهة الرئيسية فكانت تجسد قوى الطبيعة، وكانت عبادة الأرض والسماء والماء والنار قد انتشرت انتشارا واسعا لديهم. وترتبط عبادة النار ارتباطا وثيقا بعبادة القبائل الفارسية لأهورا مازدا. والإله "ميترا" يجسد الشمس، وعبادتها مرتبطة بالزراعة وتربية الأنعام.[9]

اليونان: تتميز الحضارة اليونانية بكثرة الآلهة، ففي أيام اليونان القديمة، وجد هناك لكل أسرة إله خاص بها، ومن مظاهر عبادة اليونانيين للآلهة أنهم كانوا يوقدون في البيوت النار التي لا تنطفئ أبدا، كما يقدّمون له القرابين من الطعام والخمر قبل القيام بأي عمل أو مهمة. وكان الاحتفال بالمولد والزواج والموت يقام أمام النار المقدسة للإضفاء عليه مسحة من القداسة والوقار. وهكذا، كان لكل جماعة أو عشيرة أو قبيلة أو مدينة إلٰهها الخاص بها. فكانت مدينة أثينة تعبد الإلاهة أثينا (Athena)، وإلوسيس تعبد ديمَتْر (Demeter)، وساموس تعبد حيرا (Hera)، وإفسوس تعبد آرتميس (Artemis)، وبوسدونيا تعبد بوسيدون (Poseidon)، وهكذا. وعندما خرجت المدينة للحرب حملت معها في مقدمة جيوشها صورة إلهها وشعاره، ولم تكن تخطو خطوة خطيرة إلا بعد استشارته.

ولم يكن الانتصار مقصورا على غلبة مدينة على مدينة بل كان يشمل فوق ذلك غلبة إله على إله.[10]

وفي الحضارة اليونانية كانت العبادة في معظم الأحيان متمثلة في أشكال حيوانية كما نجد في الأساطير اليونانية. وهكذا كانت عبادة الأفاعي التي تمثل القوى الشيطانية منتشرة على نطاق واسع منذ أقدم العصور. وكان أبولون "المشرق" إله الشمس، وهو يرتبط بعبادة ثعبان ضخم، يقيم في كهف عميق. وأما الطبيعة بالنسبة لليونان، فكانت هي تمثل كائنات نصف بشر، ونصف حيوان، مثلا بشر بأفخاذ تَيْس**، أو مقدمة حصان ومؤخرة بشر.

والآلهة الكبار لليونانيين هم ثلاثة إخوة: "زِيوس Zeus" إله الرعد وإله الغيوم، و"بوسيدون" إله البحر، و"حاديس Hades" إمبراطور جهنم. و"أفروديت Aphrodite " ذات الشعر الذهبي، وهي إلاهة الحب والجمال، وقد ولدت بأعجوبة من زبد البحر، واكتسبت قدرا كافيا من المجد والاحترام خاصة في جزيرتي قبرص وسيثير.

ولم يقتصر اليونانيون على إله واحد، وإنما كانوا يعبدون آلهة مختلفة، مثل سائر الأمم القديمة، فكانوا يعتقدون أن كل ما في الكون من المظاهر الطبيعية مثل البحار والجبال والشمس والهواء هي تمثل قوة إلهية، فنسبوا كلا من هذه القوى إلى رب خاص، وتمثلوا المعبود أو المعبودة على صورة رجل جميل الطلعة وامرأة وسيمة المحيا. ومن ثم يمكن أن نطلق عليهم اسم عبدة الأوثان.

وقد عبّر عن هذه الفكرة المسيو شارل سنيوبوس:

"واعتقد اليونان أن كل قوة في الطبيعة من هوائها وشمسها وبحرها هي قوة إلهية، ونسبوا كلا من هذه القوى إلى رب خاص، إذ لم يدركوا أن علة واحدة تنتج كل هذه الأكوان، ولذا عبدوا عددا عديدا من هذه الآلهة، فكانوا وثنيين على هذا النحو".[11]

وعلى كل حال، فإن الآلهة في المجتمع اليوناني احتلت مكان الصدارة، وأصبحت جزء لا يتجزأ لحياة اليونانيين، فكثيرا ما كانوا يعبدون آلهتهم في مختلف

المناسبات أو عندما حلّت عليهم كُرَب أو مصائب، فيقدمون لها القرابين من الطعام وغيره من الأشياء الأخرى لإرضاء آلهتهم. ومن أجل ذلك نرى أن آلهتهم كثرت لكثرة معتقداتهم في القوى الطبيعية، فكان كل شيء أو كل قوة في الأرض أو في السماء وكل نقمة أو نعمة، وكل صفة من صفات الإنسان يمثل إلها في صورة بشرية عادة. وكان لكل حرفة، ولكل مهنة، ولكل فن إله خاص. وفضلا عن ذلك، نجد عندهم أيضا شياطين والعفريتات المجنحة وآلهة الانتقام والجن، وإلاهات ذوات صوت شجي يسلب العقول، وحور عين في البحار والغابات، لا يقل عددهن عن سكان الأرض من الناس. كما كان لكل إله من آلهة اليونان أسطورة خاصة به تشرح سبب وجوده في حياة المدينة أو تفسر الطقوس التي تقام تكريما له.

ونظرا لكثرة الآلهة في المجتمع اليوناني، قسم المؤرخون هذه الآلهة إلى سبعة أقسام حسب نوعية مهماتها ووظائفها ومسؤولياتها التي تقع عليها، وهي: آلهة السماء، وآلهة الأرض، وآلهة الخصوبة، والآلهة الحيوانية، وآلهة ما تحت الأرض، وآلهة الأسلاف أو الأبطال، والآلهة الأولمبية.[12]

الرومان:العبادة في الحضارة الرومانية لم تكن مقتصرة على إله واحد، وإنما كانت لهم آلهة عديدة مثل اليونانيين، كما أنهم يعتقدون أن كل ما يحدث في الكون هو بسبب قوة المظاهر الطبيعية ومن أجل ذلك يعتقدون بتعدد الأرباب بتعدد المظاهر المختلفة التي تظهر فيها أوامرهم ونواهيهم. ولكل رب اسمه وجنسه وعمله، فهناك رب ينبت البذر، وآخر يحمي حدود الحقول، وثالث يحرس الثمار وهكذا دواليك.

ومن أبرز الأرباب للرومان: "المُشتَري" رب السماء، و"جانُوس" ذو الرأسين، و"المِرّيخ" رب الحرب، و"عُطارِد" رب التجارة، و"فولكان Vulcan" رب النار، و"نِبتون" رب البحر، و"سريس Ceres" ربة الحصاد والأرض والقمر، و"جونو Juno " إلاهة الزواج وميلاد الأطفال، و"مينيرفا Minerva" إلاهة الشعر والطب والحكمة.[13]

هذا، وقد وجدت في الحضارة الرومانية سلسلة من الأرباب المختلفة، فلكل المظاهر الطبيعية المحيطة بهم رب خاص، كانوا يعبدونه لإرضائه حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم من جلب المنافع أو درء المفاسد عنهم. فلكل مدينة وحارة وجبل ونهر ونبع وشجرة رب خاص بها، حتى لقد قالت امرأة في إحدى القصص من تأليف بترون الكاتب اللاتيني: "إن بلادنا غاصة بالأرباب بحيث يسهل عليك أن تلقى فيها ربا من أن تصادف رجلا".[14]

وكان أرباب الرومان لم يكونوا على صورة مخصوصة في البداية مثل اليونان، فقد مضى زمن طويل ولم يمثل الرومانيون أربابهم على صورة مخصوصة، ولم يكن في الروم صنم حتى ذلك الحين، بل كانوا يعبدون "المشتري" في صورة حجر، و"مارس" في صورة سيف. ولم يعتقدوا إلا مؤخرا باتخاذ الأصنام من الخشب مثل أصنام اتروريين (Etruscans)، وأصنام الرخام على غرار أصنام اليونان.

العرب: توجد هناك نظريات متضاربة وأقوال عديدة حول أديان العرب قبل الإسلام، فبعض المؤرخين يقول: "إن العرب كانوا على دين واحد وهو الحنيفية أو دين إبراهيم ودين التوحيد الذي تمثل في الإسلام، إلا أنهم ضلوا الطريق وابتعدوا عن الحق وغووا بعبادتهم الأصنام، وعلى رأسهم ناشر عبادة الأصنام في جزيرة العرب عمرو بن لحي".[15]

كما يقول البعض الآخرون إن العرب كانوا على مذاهب مختلفة، بعضهم آمنوا بالله والتوحيد، وبعضهم آمنوا بالله وعبدوا الأصنام، وبعضهم آمنوا بالأصنام وعبدوها زاعمين أنها تضر وتنفع، وهكذا أصحاب الديانات والمعتقدات الأخرى.

يقول جواد علي:

"كانت العرب في الجاهلية على أديان ومذاهب، كان منهم من آمن بالله، وآمن بالتوحيد، وكان منهم من آمن بالله، وتعبد للأصنام، إذ زعموا أنها تقربهم إليه. وكان منهم من تعبد للأصنام زاعمين أنها تنفع وتضرّ، وأنها هي الضارة النافعة. وكان منهم من دان باليهودية والنصرانية، ومنهم من دان بالمجوسية، ومنهم من توقف، فلم

يعتقد بشيء، ومنهم من تزندق، ومنهم من آمن بتحكم الآلهة في الإنسان في هذه الحياة".[16]

ومهما يكن من الأمر، فإن الوثنية وعبادة الأصنام كانت سائدة في العرب قبل الإسلام في أشكالها المتنوعة، فتارة تعبدوا لما في الكون من المظاهر الطبيعية مثل الشمس والقمر والكواكب والنجوم، وتارة أخرى نحتوا أصناما مختلفة ممثلة الأرباب والآلهة من المواد العديدة.

وعلى هذا، فقد رأى بعض العلماء أن عبادة العرب في الجاهلية هي عبادة الكواكب في الأصل، وأسماء أصنامهم وآلهتهم ترجع إلى ثالوث سماوي وهو: الشمس والقمر والزُهرة[17]. ومن أبرز العوامل التي دفعت بهم إلى عبادة هذا الثالوث السماوي إدراكهم فيها من أثر في الإنسان وفي طباعه وعمله وفي الجوّ الذي يعيش فيه، وفي حياة زرعه وحيوانه وفي تكوين ليله ونهاره وتغيير الفصول.

وهكذا نرى أن إبراهيم عليه السلام أيضا تفكر في الكوكب والقمر والشمس قبل أن يهتدي إلى التوحيد. وذلك لأن الكوكب قد لفت نظر إبراهيم عليه السلام وبهره بحسن منظره فاتخذه ربّا، ولكن عندما أفل رأى كوكبا آخر أكبر حجما وأجمل منظرا منه، فتركه واتخذ الكوكب الآخر ربّا وهو القمر. فلمّا أفل القمر، تركه واتخذ الشمس ربّا. وقول إبراهيم عليه السلام "هذا ربي" على وجه الإنكار منه أن يكون ذلك ربّه.[18]

وليس من المستبعد أن العرب في الجاهلية قد تعبدوا للأجرام السماوية وغيرها من المظاهر الطبيعية، إذ يشير القرآن في موضع آخر إلى عبادة الجاهليين للشمس والقمر، ففيه: [ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون] (فصلت:37). فهذه الأجرام السماوية أي القمر والشمس والزهرة هي الأجرام البارزة الظاهرة التي بهرت نظر الإنسان، والزُهرة إن كانت غير بارزة بروز الشمس والقمر، إلا إنها ظاهرة واضحة مؤثرة بالقياس إلى بقية الأجرام ذات مظهر جذاب ولون خلاب. وقد يكون هذا المظهر الجميل الأخاذ هو الذي جعلها ابنا للشمس والقمر في أساطير العرب الجنوبيين.

وبالإضافة إلى هذه الأجرام السماوية الثلاثة، عبد بعض أهل الجاهلية أجراما سماوية أخرى، وتقربوا إليها بالنذور والصلوات. ففي كتب بعض الأخباريين أن بعض قبائل لخم وخزاعة وحمير وقريش عبدوا "الشعرى العَبُور"، ويقال لها الشعرى العبور؛ لأنها عبرت السماء عرضًا ولم يعبُرها عرضا غيرُها، وأول من سنّ ذلك لهم وأدخل تلك العبادة إليهم "أبو كبشة". والشِعرى هي المقصودة في الآية: [وأنه هو رب الشِعرى] (النجم: 49). وكان الناس في الجاهلية يعبدون هذا النجم الذي يقال له الشعرى، وهو النجم الوقاد. كما عبد بعض العرب في الجاهلية المرّيخ، واتخذوه إلها، وعبد غيرهم سُهَيلا وعُطارِد والأسَد وزُحل.[19]

وتدلي كتب التاريخ والمؤلفات الإسلامية الأخرى بالمعلومات عن الأصنام والأوثان وأسماءها التي كان العرب يعبدونها في مختلف أنحاء جزيرة العرب. كما نجد في القرآن الكريم بعض أسماء الأصنام للأمم المختلفة، وعلى الرغم من أن معظم هذه الأصنام كانت ذكورا، إلا أنها توجد هناك أدلة وإشارات في الكتب الإسلامية أن وجدت هناك إناث أيضا. وقد ورد ذكر بعض هذه الأصنام الإناث في القرآن الكريم، وهي: اللات والعزى ومناة، كما جاء فيه: [أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى] (النجم: 20-19).

وقبل الخوض في ذكر عبادة الأصنام والأوثان عند العرب، يجدر بنا أن نبيّن هنا الفرق بين الصنم والوثن. فتوجد هناك آراء متباينة في معنى الصنم والوثن، منهم من جعل الصنم مرادفا للوثن، أي في معنى واحد، ومنهم من فرّق بينهما، ومنهم من جعل الصنم وثنا والوثن صنما. والذين فرقوا بينهما، هم أيضا لا يستقرّون على رأي واحد، بل لهم آراء متفرقة في الفرق بينهما.

فبعضهم يقول: "المعمول من الخشب أو الذهب والفضة أو غيرها من جواهر الأرض صنم، وإذا كان حجارة فهو وثن". كما يقول البعض الآخر: "إن الصنم ما كان له صورة جعلت تمثالا، والوثن ما لا صورة له". وقيل: "إن الوثن ما كان له

جثة من خشب أو حجر أو فضة ينحت ويعبد، والصنم صورة بلا جثة". وقيل: "الصنم ما كان على صورة خلقة البشر، والوثن ما كان على غيرها".[20]

هذا، وقد بيّن الدكتور شوقي ضيف الفرق بين الصنم والوثن، فهو يقول: "الصنم يكون غالبا تمثالا، أما الوثن فيكون غالبا حجرا، وقد يسمى الصنم بالوثن".[21]

وفيما يلي نذكر أهم هذه الأصنام والأوثان التي كان العرب في الجاهلية يتعبدون لها:

اللّات: تعتبر اللات من أقدم الأصنام عند العرب. وكانت صخرة مربعة بيضاء، وبنت ثقيف عليها بيتا وبدأوا يسيرون إليه. وقد شابهوه بالكعبة. وله حجبة وكسوة، وكانت سدانته لآل أبي العاص. وبالإضافة إلى ثقيف، لقد عظمته قريش وجميع العرب وتقربوا إليه، حتى أن ثقيفا كانوا إذا ما قدموا من السفر، توجهوا إلى بيت اللات أولا للتقرب إليه، ثم يذهبون بعد ذلك إلى بيوتهم.[22]

وقيل: إن اللات كان رجلا يَلُتّ السويق للحاجّ في الجاهلية، فلما مات عكفوا على قبره وعبدوه. وكان معبد اللات الشهير في مدينة الطائف، يقصدها الناس للتبرك به[23].

العُزّى: هي صنم أنثى مثل اللات، وهي أحدث عهدا من اللات ومناة. والذي قام باتخاذه اسمه ظالم بن أسعد، اتخذه هذا الصنم بواد من نخلة الشامية يقال له حُراض[24]. وأما ما يتعلق بأصل العزى، فتوجد هناك روايتان تتحدثان عن أصل العُزّى. الرواية الأولى تقول إن العزى هي شجرات يعبدونها، بينما تفيد الرواية الثانية أن العُزى هي حجر أبيض. ويبدو من معظم الروايات أن العزى كانت سمرة أي شجرة لها حمى، وكان الناس يتقربون إليها بالنذور، وهي بالطبع عبادة من العبادات المعروفة للشجر.[25] والعزى كانت من الآلهة المعبودة عند عرب العراق وعرب بلاد الشام وعند النبط والصفويين. كما كانت قريش تتعبد للعُزى، وتزورها وتقدم لها النذور والهدايا وتتقرب إليها بالذبائح، وهي كانت أعظم الأصنام عند قريش. يقول ابن الكلبي:

"ولم تكن لقريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئا من الأصنام إعظامهم العزى، ثم اللات، ثم مَناة. فأما العزى، فكانت قريش تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية، وذلك فيما أظن لقربها كان منها، وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش العزى، وكانت الأوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين، وكلهم كان معظما لها أي للعزى".[26]

مَناة: يعتبر مناة أيضا من الأصنام الإناث، وهو من أقدم الأصنام عند الإخباريين. وقد نصب هذا الصنم بالمُشلّل بقديد بين مكة والمدينة. وهذا الصنم كان معظما عند الأوس والخزرج وعرب المدينة والأزد وغسان، بالإضافة إلى القبائل العربية الأخرى مثل قريش وهذيل وخزاعة. وأما سدنته فهو الغطاريف من قبيلة الأزد[27]. والمتعبدون لهذا الصنم كانوا يقصدونه، ويذبحون حوله ويهدون له. كما ارتزق سدنة هذا الصنم باسمه، وبقوا هكذا، إلى أن كان عام الفتح، فانقطع رزقهم بهدمه وبانقطاع سدانته.

هُبَل: لقد وضعت في جوف الكعبة العديد من الأصنام، وكان هُبَل أعظمها جميعا، وهو من أعظم أصنام قريش، كانت تلوذ به وتتوسل إليه، ليمنّ عليها بالخير والبركة، وليدفع عنها الأذى والشر. وكانت لقريش أصنام أخرى في جوف الكعبة وحولها ولكن هُبَل هو المقدم والمعظم عندها على الجميع. وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة. وقد صنع هذا الصنم من العقيق الأحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، أدركته قريش فجعلت له يدا من ذهب. وكان من شدة تعظيم قريش له أنهم وضعوه في جوف الكعبة، وأنه كان الصنم الأكبر في البيت (الكعبة).[28]

هذا، وقد أفاد أهل الأخبار بأنها توجد هناك أصنام أخرى للعرب كانت من زمن نوح عليه السلام، وهي خمسة أصنام: وَدّ وسُواع ويَغوث ويَعوق ونَسْر. وقد وردت أسماء هذه الأصنام في القرآن الكريم: [وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وَدا ولا سُواعا ولا يَغوث ويَعوق ونَسْرا] (نوح: 23).

وتفيد الروايات التاريخية أن هذه الأصنام الخمسة في الحقيقة كان نحتها الشيطان على صورة خمسة بنين من أبناء آدم، فلمّا ماتوا، جزع الناس عليهم، لأنهم كانوا عبادا صالحين، فسوّل لهم الشيطان أن يصنع لهم تماثيل على هيأتهم وصورهم، لتذكرهم بهم، فسرّوا برأيه، وصنعها لهم، فما لبث الناس أن عبدوها، حتى تركوا عبادة الله، وكان وَدّ أكبرهم وأبرهم، فصار أول معبود عبد من دون الله.[29]

وكان وَدّ من الآلهة الجنوبية، وصنمه كان بدومة الجندل، وظلّ منصوبا هناك حتى جاء الإسلام. وكان سُواع صنم هذيل وكنانة، وهو حجر كانوا يعبدونه هم وعشائر كثيرة من مضر. وكان يغوث صنم مذحج وعشائر من مراد وهوازن. وكان يعوق صنم همدان وخولان وما والاهما من القبائل. وكان نسر معبود حمير، وانتشرت عبادته في الشمال، وكان على شكل الطائر. وقد كانت هذه الأصنام على أشكال مختلفة، فمثلا كان ودّ على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير.[30]

وبالإضافة إلى هذه الأصنام الخمسة التي قد تعبّد لها العرب قبل الإسلام منذ زمن نوح عليه السلام توجد هناك أيضا مئات من الأصنام التي احتلت مكانة مرموقة لدى عبدتها. فقد كان العرب في المناطق المختلفة قد تعبدوا لها وقدموا لها النذور والهدايا والقرابين وغيرها من الأشياء الأخرى لإرضاءها والاستعانة بها. ومن أهم هذه الأصنام:

"عُمْيانِس"، وهو صنم خولان، وموضعه في أرض خولان. و"إساف" و"نائلة"، وهما وفقا لبعض الروايات رجلان عملا عملًا قبيحا في الكعبة، فمسخا حجرين ووضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما. و"رُضى"، وهو صنم لـ بني ربيعة بن كعب، وتعبدت لهذا الصنم قبيلة تميم. و"مَناف"، وهو صنم من أصنام الجاهلية، ونسبة إلى هذا الصنم، كانت تسمي قريش عبد مناف. و"ذو الخَلَصة"، وكان صنم خثعم وبجيلة ودوس وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن، وكان ذو الخلصة بيتا يدعى كعبة أيضا، وكان فيه صنم يدعى الخلصة وهو صنم أنثى. و"سَعْد"، وهذا

الصنم كان صخرة طويلة على ساحل البحر بتهامة، والناس كانوا يتبركون به بتسمية أبنائهم باسمه. و"ذو الكَفَّيْن"، وهو صنم قبيلة دوس، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو الدوسي فحرقه. و"ذو الشَرى"، وهو صنم بني الحارث بن يشكر، وقد سمى العرب الجاهليون أبناءهم على اسم هذا الصنم "عبد ذي الشرى". و"الأُقَيْصِر"، وكان صنم قضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان، وكان في مشارف الشام، وكانوا يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده. و"ثُهْم"، وكان هذا الصنم لقبيلة مزينة، وكان أتباعه يقدمون له الذبائح ويُقسمون به. و"عائِم"، وهو صنم أزد السراة. و"سُعَيْر"، وهو صنم عنزة، وكان الناس يحجون إليه ويطوفون حوله. و"الفَلْس"، وكان هذا الصنم لطيء، فكانوا يعبدونه ويهدون إليه، ولا يأتيه خائف إلا أمن عنده. و"المُحَرِّق"، وكان صنما لبكر بن وائل، وقد نسب إليه بعض الرجال فسمي بـ عبد محرق، ويظن بعض المستشرقين أنه عرف بـ "محرق" لأن عبدته كانوا يقدمون له بعض القرابين البشرية محروقة. و"الشمس"، وهو صنم بني تميم، وله بيت، وعبادته كانت معروفة في مواضع مختلفة من جزيرة العرب.[31]

وهكذا، اتخذ العرب في الجاهلية بعض الحيوانات رمزا للآلهة، فهي تعدّ من الحيوانات المقدسة التي ترمز إلى الآلهة، ومن أبرز هذه الحيوانات الثور والعجل، فاتخذ الثور من الحيوانات رمزا للقمر، ونجد صورته مرسومة في النصوص اللحيانية والثمودية وعند غير العرب من الشعوب السامية. كما اتخذ عبدة القمر صنما لهم على شكل عجل. كما يقول الآلوسي:

"ومن شريعة عبادتهم أنهم اتخذوا له صنما على شكل عجل، وبيد الصنم جوهرة يعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياما معلومة من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور. فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه".[32]

هذا، وقد تعبد العرب في الجاهلية أيضا للشجر، وعبادة الشجر كانت شائعة معروفة عند الساميين. وقد أشار ابن الكلبي إلى نخلة نجران، وهي نخلة عظيمة

كان أهل البلد يتعبدون لها. ومنها ذات أنواط، وهي شجرة خضراء عظيمة، كان العرب الجاهليون يأتونها كل سنة تعظيما لها، فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها، وكانت قريبة من مكة.[33]

وكانت التماثيل المصنوعة من الذهب والفضة والحجارة الثمينة والخشب من أبرز الوسائل التي يتوسط بها الجاهليون لآلهتهم في بداية الأمر. فقد صنعوا التماثيل على شكل الآلهة لتكون وسيلة للعبادة، كما كتبوا على الحجارة عدد التماثيل وأنواعها وأسماء الآلهة التي قدمت لها تلك الأشياء واسم الناذر. وكما أن هذه الأصنام التي قدمت لها الهدايا والنذور تدافع عن قبائلها وتحميها في الحرب، فكان من الواجب أن يهتم بها العرب الجاهليون ويعطوها مكان الصدارة كما يقولون عنها "أب" في كتاباتهم ويكتبون عن أنفسهم "أبناء الصنم".

وعلى هذا، فكان من الطبيعي أن يُعَدّ أعداء القبيلة أعداء لصنم القبيلة، وأعداء الصنم أعداء للقبيلة. وعندما وقعت معركة أحد، نادى أثناءها أبو سفيان بأعلى صوته: أعل هُبَل! أعل هبل! ليبعث الحماسة في نفوس الوثنيين، ويستعين بصنمه في الدفاع عن أتباعه العابدين له.

وعبادة الأصنام في الجاهلية كانت موروثة يرثها الإبن عن أبيه، فكان من الواجب على أبناء القبيلة أو أفرادها أن لا يستبدلوا عبادة الصنم بعبادة الصنم الآخر الذي لم يكن يعبده أفراد تلك القبيلة، فإن فعل ذلك أي فرد من أفراد القبيلة فهو يعتبر خارجا على القبيلة وداخلا في تلك التي ينتمي لها الصنم.

يقول جواد علي:

"ولما كانت الآلهة آلهة قبائل، كان نبذ الفرد لإلهه معناه نبذه لقبيلته وخروجه على إجماعها، فلا يسع شخصا أن يغير عبادة إله القبيلة إلا إذا خرج على قبيلته وتعبّد لإله آخر. فإن تغيير عبادة الأفراد لأصنامهم في نظر قدماء الساميين أمر إدٌ، هو بمثابة تبديل الجنسية في العصر الحاضر".[34]

ويتبين مما مضى أن عبادة الأصنام كانت منتشرة وسائدة في المجتمع العربي قبل الإسلام، حتى اتخذ جميع أرباب البيت صنما في دارهم يعبدونه. فإذا أراد الرجل منهم سفرا، تمسح به حين يركب، وكان ذلك آخر العمل الذي يقوم به قبل السفر، وإذا رجع من السفر تمسح به، وكان هذا العمل أول ما يقوم به قبل أن يدخل على أهله.

يقول ابن الكلبي:

"واشتهرت العرب في عبادة الأصنام فمنهم من اتخذ بيتا، ومنهم من اتخذ صنما، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت، نصب حجرا أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت... فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلا، أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربّا، وجعل ثلاث أثافي* لقِدره، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلا آخر، فعل مثل ذلك. فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون إليها".[35]

وروي أنه لم يكن حيّ من أحياء العرب إلا وله صنم يعبده ويسمونه: "أنثى بني فلان". والإناث هي الموات، وهو كل شيء ليس فيه روح مثل الشجر والحجر والخشب[36]. وقد كان المشركون يعبدون الأصنام، ويسمونها بالإناث من الأسماء كاللات والعزى ومناة ونائلة وما أشبه ذلك.

وكذلك كان هناك في الجاهلية من يتعبدون للأحجار، فإذا وجدوا أحسن وأعجب منها، تركوا الحجارة القديمة وأخذوا الحجارة الجديدة وتعبدوا لها. وهناك أمثلة عديدة تشير إلى أن الكثير من الجاهليين يحتفظون في بيوتهم بأصنام يتقربون إليها. وهذا لا يعني أنها كانت أصناما كبيرة منحوتة بشكل جيد، بل كان أكثرها تماثيل صغيرة، وبعضها أحجارا غير منحوتة نحتا فنيا تمثل الصنم الذي يتقربون إليه.

وأما ما يتعلق بهيئة الأصنام أو أشكالها، فهي تتنوع حسب تنوع مزاج العرب في الجاهلية أو مدى اعتقادهم في القوى الطبيعية. فهي قد تكون على شكل البشر، وقد تكون على شكل حيوان أو حجر أو ما إلى ذلك من الأشكال الأخرى.

وقد وصف ابن الكلبي شكل بعض الأصنام، فذكر مثلا أن الصنم "هُبَل" كان من العقيق الأحمر على صورة إنسان، مكسور اليد اليمنى، أدركته قريش فجعلوا له يدا من ذهب[37]. وأما "اللات" فهي صخرة بيضاء منقوشة. وأما "العزى" فهناك رواية تذكر أنها كانت صنما أي تمثالا. وأما "ودّ" فقد كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، عليه سيف قد تقلده، وقد تنكب قوسا، وبين يديه حربة فيها لواء، ووَفْضة فيها نبل. وأما "سُواع" فكان صنما على صورة إمرأة. ولا يستبعد أن يكون من بين الأصنام الباقية ما كان على صورة حيوان. فقد كان الصنم "نسر" يمثل النسر الطائر.[38]

هذه الأصنام تتعلق بالأصنام المتواجدة في المعابد التي بنوها في أمكنة مختلفة، والتي كانوا يقدمون لها النذور والقرابين. أما الأصنام الصغيرة فهي الأصنام أو التماثيل المتمثلة في تلك الأصنام التي كان الناس يتعبدون لها في بيوتهم أو يحملونها معهم في رحلاتهم أو إلى أي مكان آخر يقصدونه تبركا بها. وهي كثيرة، كانوا يتقربون بها إلى الأصنام الكبيرة. وقد عثر المنقبون في عملية الحفريات والتنقيب على عدد لا بأس به منها، وهي متفاوتة في الحجم وفي الروعة ودقة الصنع والإتقان.

أما المواد المستخدمة في صناعة الأصنام فهي تختلف حسب اختلاف مكانة الأصنام لدى عبدتها. فبعضها تصنع من الحجارة والخشب والبعض الأخرى من المعادن ومن أشياء أخرى بحسب درجة تفكير عبدتها وتأثرهم بالظواهر الطبيعية والمؤثرات التي تحيط بهم، وقد تستخدم أخشاب خاصة تؤخذ من أشجار ينظر إليها نظرة تقديس واحترام في صناعة الأصنام منها. ويحاول الفنان في وضعها أن يعطيها شكلا مؤثرا خلابا له علاقة بالأساطير القديمة وبالكائن الذي سيمثله الصنم.

الهند: أما ما يتعلق بعبادة الأصنام في الهند، فنذكر فيما يلي الهندوسية والجينية والبوذية إذ نجد فيها عبادة الأصنام والآلهة المتعددة بارزة وخاصة في الديانة الهندوسية.

الهندوسية: تعتبر الديانة الهندوسية من أعرق الديانات وأشدها تعقيدا في كافة أنحاء العالم. وفيما يبدو أن معظم الديانات العالمية الشائعة اليوم قد بدأت منذ حوالي القرن السادس قبل الميلاد أو بعده، إلا أن الديانة الهندوسية قد برزت معالمها وأشكالها الدينية في الألف الثالث قبل الميلاد. وبإمكان أي شخص أن يلمس داخل الهندوسية أي شكل من أشكال الديانة أو أي أسلوب من أساليبها التي يمارسها الناس. ويتراوح نطاقها بين المذهب الروحي البسيط وبعض الأنظمة الفلسفية السامية التي وضعت حتى الآن. وفي هذا النطاق، تسمح الهندوسية بعبادة ملايين الآلهة؛ الكبيرة منها والصغيرة، وبناء المعابد وتعترف بالكهنة والنساك.

ويبدأ تاريخ الهندوسية مع هجرة الآريين إلى الهند أثناء الألف الثاني قبل الميلاد. والدين الذي أتى به هؤلاء معهم لقد اختلط بدين السكان الأصليين، والثقافة التي تطورت فيما بينهم أصبحت هندوسية كلاسيكية.[39] وعلى الرغم من أن تاريخ الهندوسية يبدأ من هجرة الآريين إلى الهند، إلا أنه يوجد هناك في الهند شعب آخر قبل الآريين. فقد وجد في المكتشفات الأثرية في وادي السند في العشرينات من القرن العشرين أنه كانت هناك حضارة معروفة بـ "هربّا وموهينجودارو". وعثرت في هذه المكتشفات العديد من التماثيل والتمائم التي تشير إلى ديانة الشعب قبل الآريين. وتحمل العديد من هذه التماثيل صورة ما يسمى بـ آلهة الخصوبة وإلاهاتها. كما تبدو بعض هذه الصور في وضع اللوتس الذي تبنّاه فيما بعد علماء اليوغا. وعلى هذا، يمكن القول إن الشعب قبل الآريين كانوا متحضرين للغاية كما تدل على ذلك المدن التي خططت بشكل جيد والتي تم العثور عليها في المكتشفات الأثرية. وهكذا نرى أن الهندوسية قد أخذت بعض آلهتهم والشعائر الدينية التي كانوا يمارسونها في ذلك الزمن المبكر.

ويبدو من الأدب الفيدي واضحا أن الآريين أتوا معهم بالدين الشركي المشابه بدين الهنود الأوربيين. وتوجد هناك المساعي العظيمة المبذولة في تحديد آلهة الآريين مع تلك التي توجد في الحضارة اليونانية والرومانية. ويبدو أن مجموعة

الآلهة التي عبدها الآريون كانت تماثيل لمختلف القوى الطبيعية مثل العاصفة والشمس والقمر وخصوبة الأرض.

ويعتبر تقديم القرابين للآلهة طريقا رئيسيا لعبادة الآريين. ومنذ أن كان الآريون بَدْوًا في أيام احتلالهم المبكرة للهند، فإنهم لم يشيّدوا معابد لآلهتهم، بل قدموا القرابين لها على المذابح التي بنيت في الأماكن المكشوفة. وقد شمل هذا التقديم بشكل رئيسي القرابين الحيوانية، إلا أنهم قدموا أيضا منتجات اللبن مثل الزبدة وإراقة اللبن التي تلقى على الآلهة.[40]

وتشير الفيدات إلى بعض الأوصاف والأساطير المتعلقة بآلهة الآريين ومن كان قبلهم من الشعب في الهند. فقد ورد ذكر الإله "إندرا" في "رِك فيدا" حيث يوجد هناك أكثر من مائتين وخمسين ترتيلا الذي وُجّه إليه بشكل خاص. ويعتبر الإله "إندرا" مهمّا للغاية لكونه منتصرا على "فِترا" الذي يمثل الشر. وفضلا عن ذلك، ورد ذكر العديد من الآلهة الأخرى أيضا في الأدب الفيدي، ومن أهم هذه الآلهة، الإله "أغني" وهو إله النار، ورد ذكره في أكثر من مائتي ترتيلة. كما ذُكر "فشنو" باختصار، وكذلك "رُودْرا" الذي عرف فيما بعد بـ "شيفا"، وهو إله الموت والهلاك. وهؤلاء الآلهة الثلاثة؛ شيفا وفشنو وبراهما أصبحوا في العصور المتأخرة من أبرز الآلهة في الديانة الهندوسية.

ويعتبر الإله "إندرا" من أكثر الآلهة ذكرا لدى الآريين، فهو إله محارب ملك السماء واقف على مركبة حرب كأنه زعيم عشيرة آرية. ويجتمع حوله العديد من الآلهة الأخرى وهي تقاسمه سلطانه وما إلى ذلك من وظائف الأمور الطبيعية، ومنها الإله الذي يعرف بالماروت، أي إله الزوابع والأعاصير والبروق وتوزيع الأمطار، والذي هو من أولاد "رودرا" الذي هو أجمل إله والذي يرسل الصواعق ويحمي الأنعام ويشفي المرضى، ومن تلك الآلهة الإله الذي يعرف بـ "بِرْهَسْبَتي" وهو ينظّم الكون، وكذلك العديد من الآلهة الأخرى التي تقاسم "إندرا" الكثير من الأمور.[41]

وهكذا، نشأت عبادة الأجداد عند الآريين عن فكرة خلود الروح وحلولها، فقد اعتقدوا أن أجدادهم الموتى لا يدومون ولا يسعدون في المثوى الأبدي ما لم تقدم لهم أسرتهم في الدنيا القرابين وتصلي من أجلهم. وفي الفيدا:

"يا أغْنِي*! تعال مع هؤلاء الأجداد القدماء الأتقياء العظماء، تعال مع ألوف عباد الآلهة هؤلاء الذين يركبون وإياها مركبا واحدا ويشربون هم والإله "إندرا" الشراب ويأكلون وإياه القربان ويذهبون للجلوس بالقرب من الدار".[42]

هذا، وقد عرفت الهنود القدماء عبادة الحيوانات وبخاصة البقرة، كما عرفوا عبادة قوى الطبيعة، وتعرفوا على عبادة عضو التلقيح معتقدين أنه سبب الخلق وكان هذا الإله يسمى عندهم "Linga".[43] وعبادة الهنود للحيوانات نشأت عن الفكر الطَوْطَمِي** (Totemism)، أو عن اعتقادهم بأن الله يتجلى في بعض الأحياء فيحلّ فيها، أو لأنهم آمنوا بالتناسخ، فجاز عندهم أن يكون الحيوان جدا قديما أو صديقا عائدا إلى الحياة.[44] والبقرة تحتلّ مكانة مرموقة بين الحيوانات المعبودة، فلها قدسية خاصة لم تضعف قداستها مع مرّ السنين. ويوجد في الفيدا حديث عن قدسيتها والصلاة لها، وهي لا تزال تحتفظ بهذه القدسية.

وكما نعرف جيدا أن آلهة الهندوس تتباين بتباين الزمان والمكان وبتباين المظاهر الطبيعية، فهم لا يعبدون عددا من الآلهة، وإنما العالم زاخر بها. فمن عبادة الحيوان إلى عبادة الطيور ومن عبادة الأشجار والأنهار إلى عبادة بعض أعضاء الإنسان، إنهم يعتقدون اعتقادا جازما في معبوداتهم المتمثلة في الصور المادية لما توجد في بيئتهم من المظاهر الطبيعية. وعلى هذا يمكن القول إن الديانة الهندوسية توزع الآلهة حسب المناطق وحسب الأعمال التي تناط بهذه الآلهة، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله.

ومن أعظم هذه الآلهة التي يعبدونها "براهما" و"فشنو" و"شيفا"، إلا أن الكهنة قد جمعوا في القرن التاسع قبل الميلاد هذه الآلهة في إله واحد أخرج العالم من ذاته وهو الذي أسموه "براهما" من حيث هو موجِد، وفشنو من حيث هو حافظ، وشيفا من حيث هو مهلك. فإذا قام أحد بعبادة الواحد من هذه الآلهة الثلاثة، فهو كالذي يعبد جميعها ولا يوجد هناك أي فرق بينها.[45]

وعلى هذا الأساس، يمكن القول إن الديانة الهندوسية اعتنقت نظرية الثالوث أي الثالوث الهندوسي الذي يتألف من براهما وفشنو وشيفا. وعبادة شيفا وفشنو سائدة في المجتمع الهندوسي إلا أن الهندوس قد جعلوا من هذين الإلٰهَيْنِ أشكالا يضعوها في معابدهم ومنازلهم، ويقدمون لها قرابين أو ضحايا بشرية. أما إله "براهما" فلم يخرجوا له شكلا للعبادة بل يعتبرونه روحا لا يمثل شكلا ظاهرا.

يقول غوستاف لوبون:

"ومع أن برهما أقوى هذه الآلهة الثلاثة فإنه ليس له عبّاد خصوصيون، ولا تكاد تجد في الهند معبدا خاصا به، وسبب ذلك هو أن الدين لدى الهندوسي تصويري مادي، فبينما تعمر رموز شيوا وتقمصات وشنو المعابد بالأشكال والصور، لم يُمثَّل برهما تمثيلا ظاهرا، بل يظلّ برهما هذا الروح الكبرى التي تُلمَس فتهب الحياة لجميع الخلق فيطمع الهندوسي أن يفنى فيها".[46]

وأتباع المذهب الشيفي هم الذين يعبدون الإله شيفا الذي يختص بالإبادة والموت. ولم يكتف أتباع هذا المذهب بعبادة شيفا وإنما اخترعوا له رموزا أو صورا عديدة يعبدونها. فجعلوا من أعضاء تناسل الرجل والمرأة رمزين لهذا الإله وعبدوهما، كما أقاموا لهما تماثيل في معابدهم، ومعظم معابدهم مملوءة بهذا الرمز، يترددون إليها. وهكذا، يمثل عضو التذكير الإله شيفا، بينما يمثل عضو التأنيث زوجته "باروتي أو كالي" أي إلهة الحياة والموت والأم التي خرج منها العالم.[47]

أما إله فشنو فيعبده أتباع هذا الإله الذي يختص بالحفظ والحب والجمال في كافة أنحاء الهند، ويعتقدون أنه يمكن لإله فشنو أن يحلّ في كل شيء عظيم أو

بطل من الإنسان والحيوان، ولعلّ ذلك من أبرز الأسباب التي أدت إلى كثرة آلهة الهندوس في الهند، فتوجد هناك قائمة المعبودات التي لا تنتهي. ومن أشهر العظماء أو الأبطال الذين حلّ فيه إله فشنو هم "راما وكرشنا"، "فراما" هو إنسان تحوّل إلى إله معبود بعد أن حلّ فيه فشنو. وكذلك "كرشنا" الذي أصبح معبودا بعد أن حلّ فيه فشنو. وبطولته تتمثل في الحب واجتذاب قلوب النساء إليه. وبما أن هذه الآلهة تحتلّ مكانة مرموقة لدى الهندوس فإن بيوتهم ومعابدهم ممتلئة بصور وتماثيل الآلهة العديدة، ويقومون في كل صباح بعبادتها في بيوتهم أو معابدهم ثم يؤدون أعمالهم أو واجباتهم.[48]

وبالإضافة إلى هذه الأصنام والآلهة للهندوس، نجد هناك قائمة طويلة لآلهة الهندوس أيضا، وهي تشير إلى أن الهندوس منذ العصر الفيدي وحتى يومنا هذا، لقد اعتقدوا اعتقادا راسخا في تعدد الآلهة وتعبدوا لها حينا لآخر في مناسبات مختلفة، كما قدموا لها الهدايا والنذور وغيرها من القرابين الحيوانية والبشرية أيضا، وذلك لجلب المنافع ودرء المفاسد أو المضار عنهم. وانتشرت عبادة الأصنام وتعدد الآلهة انتشارا واسعا في كل مكان في الهند، حتى نرى أن بعض هذه الآلهة الهندوسية لقد عبرت الحدود ووصلت اليونان والصين، فقد أدخل اليابانيون والصينيون معظم هذه الآلهة في ديانتهم المتمثلة في الكانفوشيوسية والبوذية والطاوية وتعبدوا لها، كما أنشأوا المعابد العديدة في مختلف أنحاء بلادهم. ومن أبرز هذه الآلهة:

"فَيْسرافانا"، إله السماء، وهو شبه الإله، ويُعرف أيضا بـ "كوبيرا" أي حارس الثروة.[49] و"لاكشمي"، إلهة الثروة، وهي تعتبر أيضا إلهة الجمال. و"سارَسْفاتي"، وهي إلهة المعرفة. و"ياما"، وهو إله الموت. و"هاريتي"، وهي حامية الأطفال. و"غناباتي"، وهو إله رأسه رأس فيل، يُعبد لتحقيق جميع أنواع الفوز والسعادة والحب ولتسوية الخلافات[50]. و"ماريسي"، وهو إله الشعاع. و"فارُونا"، وهو إله المياه، وهو يُعبد للمطر. و"إيْسانا" وهو إله التدمير والهلاك، ويعرف أيضا بـ "ماهِيشْفارا". و"بِرْثِيوي"،

وهو إله الأرض، ويُعبد للحصول على السعادة وكسب المواد، أو عندما تحدث الكوارث أو الأمراض نتيجة لتدنيس الأرض[51]. و"آدِتْيا"، وهو إله الشمس. و"كانْدَرا"، وهو إله القمر. و"وايُو" وهو إله الهواء.

وتعتبر الديانة الهندوسية اليوم هي الديانة السائدة في الهند، كما تعتبر الآلهة براهما وفشنو وشيفا من أكبر آلهة الهندوس، فالهندوس يعبدونها ويعتقدون بأن فيهم قوة إلهية تتمكن من التصرف في المظاهر الطبيعية وجلب المنافع ودرء المضارّ. وفضلا عن ذلك توجد هناك الملايين من الآلهة، بعضها أقرب إلى العفاريت، وبعضها أقرب إلى الملائكة، وبعضها في صورة الطير أو الحيوان.

يقول أحمد محمود الساداتي:

"ودين الهنادكة اليوم السائد هنا، للألوهية فيه ثلاث صور رئيسية هي: براهما الخالق سيد الآلهة والمسيطر على العالم كله والذي يحيط بجميع الكائنات... ووشنو الحافظ إله الحب الذي أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ثم صعد إلى السماء ليعود إلى الناس من جديد قبل النشور ليهديهم إلى الحق، وشيوا المدمّر الموكول به قبض أرواح الناس وخلاصها من أبدانهم. وإلى جانب هؤلاء الآلهة، فهناك ملايين من آلهة آخرين تزدحم بهم الهند بعضها أقرب إلى الشياطين وبعضها أقرب إلى الملائكة ومنها ما هو في صورة الطير أو الحيوان والهوامّ*. وتجمعها كلها شبكة لا حدود لها تتناسخ الأرواح فيها".[52]

وتتميز آلهة الهندوس في الهند عن غيرها من الآلهة الأخرى المتواجدة المعبودة في مختلف الحضارات العالمية. فهذه الآلهة تتسم بكثرة الأعضاء الجسدية مثل اليد والعين والرأس وما إلى ذلك. وهذا للدلالة على القوة الهائلة والقدرة الخارقة على تنفيذ الأمور.

يقول ول وايريل ديورانت:

"كان آلهة العقيدة الهندية يتميزون بكثرة أعضائهم الجسدية التي يمثلون بها على نحو غامض قدرتهم الخارقة في العلم والنشاط والقوة؛ ف "براهما" الجديد كان له

أربعة وجوه، وكان لـ "كارتكيا" ستة وجوه، ولـ "شيفا" ثلاثة أعين، ولـ "هندرا" ألف عين، وكل إله عندهم تقريبا كان له أربع أذرع".[53]

الجينية والبوذية: في القرن السادس قبل الميلاد، ظهرت في الهند الديانة الجينية والديانة البوذية، وقدّمتا حلا بديلا للخلاص من الحياة داخل المشهد الهندي. ومن الجدير بالذكر هنا أن كلا من هاتين الديانتين لقد برزت كتحد خطير للديانة الهندوسية. فقد رفضت كل منهما نظام تقديم القرابين للآلهة كوسيلة للخلاص من الحياة كما ذكر في الفيدات، واعتقدت أنه ليس بإمكان أي شخص أن يحقق الخلاص من الحياة عن تقديم القرابين للآلهة أو بأي طريقة للعبادة، وإنما يمكن ذلك فقط عن طريق الإنجازات في حياة المرء نفسه. وهكذا رفضت كل منهما الفيدات ككتاب مقدس واعتقدت أن أي شخص من أي طبقة يمكن أن يحقق النجاة.[54]

والآن أصبحت عبادة الأصنام عند الجينيين من الأمور الضرورية المستحسنة، فهم يصنعون صورة الأشخاص الذين نجت أرواحهم من عودتها إلى الدنيا مثل "دِيوجي" و"بارشوا ناث جي" و"مهابير جي" و"سومناث جي" وغيرهم من الأشخاص، وهؤلاء الآن هم أكبر الآلهة عند الجينيين.

وأما ما يتعلق بالبوذية، فحياة مؤسس هذه الديانة "بوذا" غامضة ومحيطة بالأساطير الخرافية لعدم توفر النصوص الموثوق بها، وذلك لأن تعليمات بوذا لم تُدَوَّن إلا بعد وفاته بثلاثة قرون في زمن الملك "أشوكا" الذي تولّى العرش سنة 273 قبل الميلاد، فحصل التحريف والتبديل في كثير من النصوص البوذية التي تتحدث عن نشأته وحياته المبكرة وتعاليمه. إلا أنها توجد هناك بعض النصوص التي تدلي بالمعلومات عن تعاليم بوذا المتفق عليها وعن العبادات التي يمارسها البوذيون. فقد صاغ بوذا لتلاميذه بعض القواعد الخلقية حينما طلبوا منه أن يوضح لهم معنى الحياة السليمة ليهتدوا بها، وكانت هي بمثابة الوصايا المتمثلة في خمس قواعد خلقية، وهي:

- لا يقتلنّ أحد كائنا حيّا.

- لا يأخذنّ أحد ما لم يُعطه.
- لا يقولنّ أحد كذبا.
- لا يشربنّ أحد مسكرا.
- لا يقيمنّ أحد على دنس.[55]

ومن عقائد البوذية أنها ترفض فكرة تقديم الأضاحي للآلهة وذبح الحيوانات لإقامة الطقوس، كما تنكر العبادةَ للمظاهر الطبيعية وما فوق الطبيعية، وتقدّم للناس في هدوء وبغير لجاج دينا حرّا من جمود الفكر ومن صناعة الكهنوت، وتفتتح طريقا للخلاص.

هذا، وقد برزت في البوذية فِرق عديدة من حيث العقيدة، إلا أنها اشتهرت منها فرقتان، وهما: هنايان وماهايان.

هنايان: تعتقد هذه الفرقة بأصالة تعاليم بوذا، وتنكر وجود الله تعالى والروح والإلهام، كما تؤمن "بأن بوذا" إنسان ولد من أب وأم، وعاش كغيره من الناس ومات، إلا أنه تخلّق بصفات عالية ووصل إلى رتبة قديس. وانتشرت هذه الفرقة في جنوب الهند وجزيرة سيلان.

ماهايان: تعتقد هذه الفرقة بألوهية "بوذا" وتعبد تماثيلَه من أشكالها المختلفة، وتؤمن بأن "بوذا" ليس له جسم، بل هو نور مجسم وظِلّ ظهر في الدنيا وهو الإله الأكبر والإله الأزلي. واتخذت هذه الفرقة من كل راهب إلها من دون الله، واخترعت كثيرا من الطقوس والشعائر الدينية. وانتشرت هذه الفرقة في أرجاء الهند الشمالية والتبت ومنغوليا والصين واليابان.

أما العبادة في البوذية، فهي لا تعرف طريقة العبادات بالحركات فكل ما عندها هو:

- الإكثار من الحمد والثناء على "بوذا" لحسنه وجماله وكماله على حد زعمهم.

- التلذذ بذكره وتصوره في الخلوة والمجتمع، والدعاء بصيرورة نفسه مثله في الحياة الثانية.
- يعتبر تذكّر اسم "بوذا" وتصوره من أعلى مراتب العبادة عند الرهبان البوذيين.[56]

اليابان: أما اليابانيون، فهم يعتقدون اعتقادا جازما في الأرواح وعبادة الأسلاف، كما أنهم يعتقدون أن لكل كائن روحا، وهذه الأرواح تسري في كل شيء، متواجد في هذا الكون، مثلا كواكب السماء ونجومها، ونباتات الحقل وحشراته والأشجار والحيوانات والإنسان. ويؤمنون بأن عددا لا بأس به من الآلهة يحوم فوق البيت وساكنيه ويرقص مع ضوء المصباح. هذا، وقد يكون الاتصال عندهم بالآلهة عن طريق إحراق عظام غزال أو قوقعة سلحفاة، وبهذه الطريقة يتأكد اليابانيون من التمييز بين الطيب والخبيث ومن ملاءمة الظروف لقيامهم برحلات برية وبحرية أو عدم ملاءمتها.[57]

وقد تشابهت عقائد اليابانيين بعقائد الصينيين في أصولها، فعبدوا الأرواح والأسلاف والعناصر الطبيعية. واختاروا ربة أنثى لعبادة السلف الأعلى حين وحدوا الأسلاف في أكبرها وأعلاها. وتلك الربة هي "أميتراسوا–أمو كامي"، وهي لا تزال معبودة إلى اليوم في اليابان[58].

ومن أبرز الأسباب التي دفعت بهم إلى عبادة الموتى هو الخوف منهم، فقد كان اليابانيون يخافون كثيرا من موتاهم فيعبدونهم، لأن غضبهم، كما يعتقدون، قد ينزل بالعالم شرا مستطيرا، فلكي يسترضوا هؤلاء الموتى، كان من الواجب عليهم أن يضعوا لهم النفائس في قبورهم، كأن يضعوا سيفا إذا كان الميت رجلا، ومرآة إذا كانت إمرأة. كما كانوا يؤدون الصلوة ويقدمون فاخر الطعام أمام أسلافهم في كل يوم، وهكذا كانوا يلجأون إلى التضحية البشرية توسلا لإيقاف مطر غزير أو ضمانا لثبات بناء أو جدار.[59]

الصين: أما ما يتعلق بالمشهد الديني في الحضارة الصينية، فلم يشهد التاريخ شعبا من الشعوب العالمية أشدّ من الشعب الصيني استمساكا بالخرافات، فقد كانوا يعتقدون أشدّ الاعتقاد في الأمور الخرافية كما كانوا يؤمنون بعبادة الطبيعية ظنّا منهم أنها من مظاهر القوى وأسباب النفع والضرر. ومن الأسباب لعبادة الطبيعة والأرواح خوفهم من الطبيعة والأرواح الكامنة في جميع نواحيها، كما كانوا يعبدونها إجلالا لما على الأرض من صور رهيبة وما فيها من قدرة عظيمة على الإنتاج والتوالد، وخشية السماء وعبادتها وإجلال ما فيها من شمس منعشة وأمطار مخصبة كانوا يعدونهما عنصرا من عناصر الارتباط بين ما على الأرض من حياة وما في السماء من قوى خفية. فكانوا يعبدون الريح والرعد والأشجار والجبال والأفاعي. وقد بلغ اعتقادهم في الآلهة إلى أن الكهان لا يقدمون على عمل من أعمال البطولة إلا بعد أن يمهدوا له بالأدعية والصلوات ويستعينوا عليه بالآلهة.[60]

وأكثر العبادات شيوعا وانتشارا فيما بينهم هي عبادة الأبطال والأسلاف، ولا يقدم الصيني قربانا هو أغلى في قيمته وأحب إلى نفسه من قربانه إلى روح سلفه المعبود، وهو يتكون من الأغذية والأشربة والأكسية والطيوب، ومنهم من يحرق ورق النقد هبة للروح التي يعتقدون أنها تحتاج إلى كل شيء كانت تحتاج إليه وهي في عالم الأجساد.[61]

وفضلا عن عبادة الأبطال والأسلاف، الصينيون يقومون بعبادة المظاهر الطبيعية، مثل السماء والشمس والقمر والكواكب، وأكبرها إله السماء "شانج تي"، الذي يدبّر الأمور ويصرف الأكوان. ويليه إله الشمس، ثم بقية الأجرام السماوية، وبعدها العناصر الأرضية. وهم يقربون إلى إله السماء "شانج تي" الذبائح، ويبلغون صلواتهم بإشعال النار على قمم الجبال.[62]

الهوامش:

[1] سنيوبوس، المسيو شارل، تاريخ حضارات العالم، ترجمة: محمد كرد علي، ص: 16.

[2] نفس المصدر، ص: 17.

*اسم طائر.

[3] سنيوبوس، المسيو شارل، تاريخ حضارات العالم، ترجمة: محمد كرد علي، ص: 17.

[4] نفس المصدر، ص: 29-28.

[5] دياكوف، ف. وكوفاليف، س.، الحضارات القديمة، ج1، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ص: 108.

[6] نفس المصدر،ص: 109.

*النحاس الذي لا يعمل فيه الحديد.

[7] سنيوبوس، المسيو شارل، تاريخ حضارات العالم، ترجمة: محمد كرد علي، ص: 33-34.

[8] العقاد، عباس محمود، الله، ص: 61-60.

[9] دياكوف، ف وكوفاليف، س، الحضارات القديمة، ج1، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ص: 204-205.

[10] ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة؛ حياة اليونان، ج1، ترجمة: محمد بدران، ص: 317-318.

**الذكر من الظباء والمعز.

[11] سنيوبوس، المسيو شارل، تاريخ حضارات العالم، ترجمة: محمد كرد علي، ص: 70.

[12] ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة؛ حياة اليونان، ج1، ترجمة: محمد بدران، ص: 321.

[13] سنيوبوس، المسيو شارل، تاريخ حضارات العالم، ترجمة: محمد كرد علي، ص: 144.

[14] نفس المصدر، ص: 144.

[15] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص: 34.

[16] نفس المصدر، ص: 34.

[17] نفس المصدر، ص: 50.

[18] الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج9، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص: 356 ومابعدها.

[19] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص: 60-57.

[20] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص: 73.

[21] ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي؛ العصر الجاهلي، ص: 92.

[22] الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج5، حرف اللام، مادة لات، ص: 4.

[23] الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج22، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص: 47 ومابعدها.

[24] الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج4، حرف العين، مادة عزى، ص: 116.

[25] الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج22، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص: 49 ومابعدها.

[26] الكلبي، هشام بن محمد، كتاب الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، ص: 27.

[27] الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج5، حرف الميم، مادة مناة، ص: 204.

[28] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص: 253-250.

[29] الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج29، ص:77.

[30] ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي؛ العصر الجاهلي، ص: 89. محمود، عرفة محمود، العرب قبل الإسلام؛ أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، 174-173.

[31] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص: 281-265.

[32] الآلوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، ص: 216.

[33] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص: 60.

[34] نفس المصدر، ص: 65.

*أحجار يوضع عليها القِدر للطبخ.

[35] الكلبي، هشام بن محمد، كتاب الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، ص: 33.

[36] الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج5، باب الثاء، مادة أنث، ص: 159.

[37] الكلبي، هشام بن محمد، كتاب الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، ص: 28.

[38] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص: 76.

[39]Hopfe, Lewis M. (1987). Religions of the World. New York: Macmillan Publishing Company.p.83.

[40]Ibid. p.85.

[41] لوبون، غوستاف، حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، ص: 281.

* "أغني" كلمة هندية معناها نار

[42] نفس المصدر، ص: 286.

[43] شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى؛ الهندوسية، الجينية، البوذية، ص: 28.

** الطوطمية هي اعتقاد أن كل إنسان أو مجموعة من البشر، مثل العشيرة أو القبيلة، لها علاقة روحية أو قرابة مع كائن مادي آخر، مثل الحيوان والنبات وغيرهما، وغالبا ما تسمى هذه الأشياء بالطوطم.

[44] العقاد، عباس محمود، الله، ص: 45.

[45] الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج2، ص: 726.

[46] لوبون، غوستاف، حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، ص: 601.

[47]النمر، عبد المنعم، تاريخ الإسلام في الهند، ص: 44.

[48] نفس المصدر، ص: 46-44.

[49]Chaudhuri, Saroj Kumar. (2003). Hindu gods and goddesses in Japan, New Delhi: Vedmas eBooks (P) Ltd. p.20.

[50]Ibid. p.102

[51]Ibid., p.136.

* واحدها هامة، وهي حشرات طفيلية.

[52] الساداتي، أحمد محمود، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1، ص: 23.

[53] ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة؛ الهند وجيرانها، ج3، ترجمة: زكي نجيب محمود، ص: 203.

[54]Chaudhuri, Saroj Kumar. (2003). Hindu gods and goddesses in Japan, New Delhi: Vedmas eBooks (P) Ltd. p.98-99.

[55] ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة؛ الهند وجيرانها، ج3، ترجمة: زكي نجيب محمود، ص: 77.

[56] الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص: 653-655.

[57] ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة؛ الشرق الأقصى، اليابان، ج5 ترجمة: زكي نجيب محمود، ص: 12.

[58] العقاد، عباس محمود، الله، ص: 58.

[59] ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة؛ الشرق الأقصى، اليابان، ج5 ترجمة: زكي نجيب محمود، ص: 13-12.

[60] ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة؛ الشرق الأقصى، الصين، ج4، ترجمة: محمد بدران، ص: 257-256.

[61] العقاد، عباس محمود، الله، ص: 55-54.

[62] نفس المصدر، ص: 55.

المصادر والمراجع

الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط2، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2003م.

الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج29، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا.ت.

الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، لا.ن، لا.م، لا.ت.

الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج2، ط4، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ.

الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.

دياكوف، ف. و كوفاليف، س.، الحضارات القديمة، ج1، ط1، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، دمشق، 2000م.

ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة؛ الشرق الأقصى، اليابان، ج5 ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لا.ت.

ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة؛ الهند وجيرانها، ج3، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لا.ت.

ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة؛ حياة اليونان، ج1، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لا.ت.

الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج5، مطبعة حكومة الكويت، 1969م.

الساداتي، أحمد محمود، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1، مكتبة الآداب، القاهرة، لا.ت.

سنيوبوس، المسيو شارل، تاريخ حضارات العالم، ط1، ترجمة: محمد كرد علي، الدار العالمية للكتب والنشر، الجيزة، 2012م.

شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى؛ الهندوسية، الجينية، البوذية، ط11، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م.

ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي؛ العصر الجاهلي، ط24، دار المعارف، القاهرة، 2003م.

الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ط1، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة، 2001م.

العقاد، عباس محمود، الله، دار نهضة مصر، لا.م، لا. ت.

علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ط2، جامعة بغداد، لا.م، 1993م.

الكلبي، هشام بن محمد، كتاب الأصنام، ط3، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1995م.

لوبون، غوستاف، حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م.

محمود، عرفة محمود، العرب قبل الإسلام؛ أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، لا.م، 1995م.

النمر، عبد المنعم، تاريخ الإسلام في الهند، ط1، دار العهد الجديد للطباعة، لا.م، 1959م.

Chaudhuri, Saroj Kumar. (2003). *Hindu Gods and Goddesses in Japan*, New Delhi: Vedams eBooks (P) Ltd.

Hopfe, Lewis M. (1987). *Religions of the World*. New York: Macmillan Publishing Company.

سيد سليمان الندوي ومساهمته في تطوير اللغة العربية وآدابها في الهند

د. تسنيم كوثر*

كان سيد سليمان الندوي من الشخصيات العلمية التي لمعت في سماء العلم والأدب والثقافة الاسلامية وبزغت شمسها في مجال الأدب والمعرفة واللغة، فاشتهرت بين الكتاب ككاتب كبير وبين العلماء كعالم نحرير، وبين الأدباء كأديب ناصع البيان سلس الأسلوب قوي الحجة، وبين اللغويين كعالم لغوي مقتدر على ناصية اللغة وأصولها، وبين كتاب اللغة العربية ككاتب مبدع، وخطيب بارع فيها، حتى أنه لما كان طالبا في دار العلوم لندوة العلماء نال إعجاب الأساتذة والمربين حتى أن أستاذه ومرشده ومعلمه الشيخ شبلي النعماني الذي كان آنذاك مقيما في دارالعلوم، وحضر الحفلة التي خطب فيها سيد سليمان الندوي باللغة العربية أعجب الأستاذ بتلميذه كخطيب بارع فلم يملك نفسه إلا أنه خلع عمامته وتوّج رأس تلميذه النابغ بها، فرأها تلميذه أعظم تقدير وأعز وسام، واحتفظ بها طول حياته. من تلك الفترة بدأ سيد سليمان الندوي يجتهد في اللغة العربية وآدابها وحاول أن يطلع على جميع الأسس والمصادر والمراجع التي تتصل باللغة العربية وآدابها حتي نبغ فيها، لأنه رسخ في ذهنه أن أي عالم أو كاتب وأستاذ أو متكلم في العلوم الإسلامية لايمكن أن يصل إلى درجة رفيعة إلا إذا كان متمكنا من اللغة

---

* الأستاذة، قسم اللغة العربية، جامعة عليجراه الإسلامية، عليجراه، أترابراديش، الهند.

العربية كل تمكن، من تلك الفترة استمر في الجهد والدراسة حتى نال الدرجة الرفيعة فيها، لاشك أن سيد سليمان كان بعيدا من ديار العروبة ولم يتمكن من السفر إلى البلاد العربية ولم يسنح له فرصة أن يدرس على أستاذ عربي وإنما وصل إلى هذه الدرجة الرفيعة كلها بجهده واجتهاده وشوقه ورغبته الخالصة، هنا نحاول أن ندرس دراسة عاجلة للمؤلفات التي خلفها والأبحاث والمقالات التي نشرها في المجلات العربية وخاصة مجلة "الضياء" وسنتناول أيضا دراسة الأشعار التي قرضها بذوقه الأدبي و فكره الناضج}.

ولادته ونشأته:

ولد سيد سليمان الندوي في قرية دسنة بولاية بيهار وذلك في 23 صفر 1304هـ الموافق من 22 نوفمبر سنة 1884م. وإنه انحدر من أسرة علمية ودينية عريقة الحسب تتمتع بشهرة عالية في مجال الطب، ونبوغ كبير في الأدب والمعرفة والدين، وكان والده ومن قبله جده من الأطباء المشهورين آنذاك ومعروفين في الزهد والتقوى.1

ويجدر بنا أن ننقل هنا هذا الاقتباس القيم تتضح لنا مكانة أسرته العلمية والدينية:

"ينحدر السيد سليمان الندوي من أسرة حسينية النسب، مشهورة بالتقوى والعلم وينتمي إلى بيت كريم من بيوت الأشراف كثير المآثر والمفاخر معروف بالعلم والأدب والفضل والإحسان كان جده من الأطباء المعروفين في عصره وكان عالما ربانيا جمع بين العلم وصلاح القلب والتصوف وكان أبوه السيد ابوالحسن كذلك كان طبيبا ماهراً، متصفا بالزهد والتقوى ومثالاً للآداب العالية والأخلاق ومتصوفاً، معنيا باتباع السنن ومحاربة البدع، قضى حياته في الزهد والتقوى".2

في هذه البيئة الدينية والعلمية والأدبية نشأ سيد سليمان الندوي ودرج على حب العلم والدين والأدب والتقوى. أما عن تعليمه وثقافته حسب المصادر التاريخية التي ترجمت سيرته بأن سيد سليمان الندوي تلقى دراسته الابتدائية من المدارس الدينية

المنتشرة على أرض ولاية بهار، حيث نجد بأنه تعلم مبادئ القراءة والكتابة من كتاتيب مسقط رأسه، ثم أرسله والده سنة 1316هـ = 1898م إلى فولواري وفي هذا المركز العلمي تلقى العلم على أفاضل العلماء، وتلمذ على الشيخ محي الدين المحيبي الفلواري ثم ارتحل إلى دربنكا وهو يحمل في قلبه وعقله حب اللغة العربية والعلوم الدينية، ودرس في المدرسة الإمدادية واجتهد في حصول العلم، وقرأ كتب الفقه والمنطق من شيوخها وأساتذتها، ومرن نفسه على الكتابة والخطابة عن طريق مساهمته في الأنشطة العلمية والأدبية التي كانت تنظمها جمعية الطلاب. 3

قدومه إلى ندوة العلماء:

ثم حمله شغفه الزائد باللغة العربية وهيامه الشديد للعلوم الإسلامية إلى مدينة لكناؤ في ولاية أتربرديش، حيث فيها دارالعلوم لندوة العلماء وهو من المراكز العلمية الكبيرة في الهند، وملتقى العلماء والباحثين. فالتحق بها وبدأ فيها دراساته العالية، وعاش مكبا على قراءة الكتب العلمية والدينية والأدبية يقرأ ماتشتهيه نفسه، ويتحرك إليه قلبه، ويقبل على ما يؤلفه ويترجمه الكتاب من مقالات أدبية ومباحث علمية في المجلات والصحف العربية، فتهافت على قراءة هذه الصحف والمؤلفات الجديدة ووجد فيها مالم يجده في حلقات العلم الندوية. وتابع تحصيله العلمي بالاجتهاد وأيضا استفاد كل الاستفادة من علماء ندوة العلماء وأساتذتها الكبار ذات شهرة مرموقة في الأوساط العلمية في الهند، ومن أبرز هؤلاء الشيوخ، العلامة فاروق جرياكوتي، والعلامة سيد عبدالحي الحسني، والعلامة الكبير شبلي النعماني وهؤلاء الجميع كان لهم تأثير كبير في حياة سيد سليمان الندوي وتكوين شخصيته العلمية والأدبية كما يشير العلامة ندوي نفسه إلى هذا قائلا:

"تعلمت الأدب العربي على العلامة فاروق جرياكوتي، والعلامة سيد عبدالحئ الحسني وكانا متبعين لأساليب المتأخرين، وكان من فضل العلامة شبلي أني قرأت عليه (دلائل الإعجاز) للجرجاني، فاطلعت على الكتابات الأدبية للمتقدمين، وقراءته

بكل رغبة وشوق وقلدته، واتجهت إلى الكتابة والخطابة العربية، وألهب كتابا (ديوان الحماسة) و(نقد الشعر) هذا الذوق عندي، وبدأت أقرض الشعر".4

ويجب أن نذكر هنا أن سيد سليمان الندوي أعجب إعجاباً شديداً بشخصية العلامة شبلي النعماني، وكان له الفضل الأكبر في تكوين شخصية سيد سليمان الندوي من الناحية الفكرية والعقلية. فلازمه ملازمة الظل، منذ أن التحق بندوة العلماء، وارتوى من معارفه وكسب من فيوضه، وفي الحقيقة نقول أنه روى غليله العلمي في ظل هذا العبقري، وكسبته صحبته وملازمته علماً غزيراً وروعة وبهاء في الأخلاق. وننقل هنا هذا الاقتباس للأستاذ محمد رابع الحسني الندوي دعما لما نقول:

"اشتهرت شخصية العلامة السيد سليمان الندوي وتجلت ميزاتها عندما ظهر نبوغه العلمي والعملي في أوساط العلم والاجتماع وذلك بعد ما تخرج من دارالعلوم ندوة العلماء ونال التربية العلمية والعملية من أستاذه الخاص العلامة الشيخ شبلي النعماني فقد أشرف العلامة شبلي النعماني على بناء شخصيات ممتازة من تلاميذه أبناء دارالعلوم لندوة العلماء ونجح في ذلك نجاحاً باهراً، وكان في قمة تلاميذه الأعلام هذا التلميذ النجيب السيد سليمان الندوي".5

بدأ سيد سليمان الندوي حياته العلمية والأدبية بعد وفاة أستاذه في دارالمصنفين في أعظم كره الذي أسسها أستاذه الحبيب شبلي النعماني، وبقي فيها طول حياته كاتبا مكباً على دراسة العلوم الإسلامية كلها مع أنه أنفق جل حياته في كتابة الأبحاث التاريخية والجغرافية والقرآنية أو كتب السير والتراجم، وكتابة عن الشخصيات العلمية في اللغة الفارسية والأردية والعربية، ومن أهم مؤلفاته القيمة "سيرة النبي ﷺ"، "سيرة عائشة رضى الله عنها"، "أرض القرآن"، "خطبات مدراس"، "إمام مالك"، "الخيام"، "حياة شبلي"، "الملاحة عندالعرب"، وغيرها من الأبحاث فلا شك إنه نبغ في هذه الأبحاث القيمة كل النبوغ ولكنه إلى جنب هذه الأبحاث القوية كان يكتب الأبحاث والمقالات في اللغة العربية، فهذه الأبحاث والمقالات لاتقل روعة

وقيمة عن كتاباته، في اللغة الأردية. ونظراً إلى مؤلفاته الكثيرة القيمة وشخصيته الجامعة يقول العلامة أبو الحسن علي الندوي:

"وبالنظر إلى هذه المؤلفات القيمة يمكن أن يصدر الحكم بأن شخصاً واحداً في بعض الظروف ينجز من أعمال علمية هائلة مالا تستطيع الأكاديميات الكبيرة إنجازها".6

ويقول الأستاذ شمس تبريز خان في هذا الصدد:

"قل من ترى من بين الكتاب الأفذاد من يبلغ كل مؤلف من مؤلفاته إلى ذروة البحث والتحقيق، بينما يمتاز السيد الندوي بهذا المستوي العلمي الرفيع في كل مادبجه يراعه من كتاب أو مقال، ويتصل كله بموضوع علمي خطير، والسبب في ذلك أنه كان يبذل أقصى ما في وسعه من الجهد في كل كتاباته، وكان يراها آخر كتاباته".7

لقد قلنا بأن سيد سليمان الندوي اختار اللغة الأردية لأعماله ونشأطاته العلمية والأدبية، لأنه كان يهدف من وراء ذلك تثقيف وإفادة أهل الهند تثقيفا دينيا وعلمياً في لغة سهلة قريبة إلى فهمهم، التي هي لغة الأم للمسلمين في الهند. ويقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي في هذا الصدد:

"اختار السيد سليمان الندوي اللغة الأردية بصورة عامة مجالا لأعماله العلمية والأدبية لأن أصناف عمله كان أغلبها في الهند وأبدى براعته فيها".8

فهذه الأبحاث العلمية والأدبية التي ظهرت بقلمه السيال وفكره الغزير تدل دلالة واضحة على تبحره في العلوم الإسلامية وعلى سعة المطالعة وعمق النظر. وكما تدل دلالة قوية على تضلعه في اللغة العربية، لأن سيد سليمان ندوي كما قلنا في بداية حديثنا أنه رسخ في نفسه بأن أي عالم أو متكلم، أو أي كاتب في العلوم الإسلامية لا يمكن أن يصل إلى درجة رفيعة إلا إذا كان متمكنا في العربية كل تمكن.

كان سيد سليمان الندوي من أبرز أعلام اللغة العربية في الهند، أثبت هذا العالم القدير براعته ومهارته في اللغة العربية نطقا وكتابة، فإنه وهب فكره وقلمه لخدمتها، ولم يدخر مواهبه وفنه عن الكتابة في العربية. فهو خير كاتب الذي ألف أقوى البحوث العلمية والأدبية وألقى أبلغ المحاضرات والخطب في المحافل العلمية والأدبية في الهند وخارجها، فهذه البحوث والمقالات والخطب خير دليل على مهارته ونبوغه وعبقريته في اللغة العربية، فإنه أحرز مكانة مرموقة بين كتاب زمانه بكتابة هذه البحوث، ونالت كتاباته القبول بين الطبقتين القديمة والحديثة ويقول الأستاذ محمد رابع الحسني الندوي عن كتاباته باللغة العربية:

"ولكنه لم يترك اللغة العربية أيضاً، بل اختارها لعدد من أعماله بكفاءة وإحسان ولم يخل عمله فيها من الوضوح والروعة والاتزان، فقد ظهر فيها أيضاً كرجل كفء قدير قلما كان يظهر مثله من أعلام العلم والفكر في زمنه".9

وآثاره في اللغة العربية يجمع بين الكتب والشعر والخطب والرسائل، لقد شارك في تأليف مجموعة الكتب التي يسرت تعليم اللغة العربية في الهند، ومن أعماله الرائعة في اللغة العربية تأليفه (لغات جديدة) وهو في الأصل قاموس للكلمات والمصطلحات الجديدة في اللغة العربية، بدأ الكتاب بمقدمة تناول فيها تطور اللغات، وأصل اللغة العربية، وأسباب انتشارها وقام المؤلف بتحقيق الكلمات الدخيلة والمعربة، يشتمل هذا القاموس على شرح أربعة آلاف كلمة تقريباً وهذا الكتاب يدل دلالة قوية على تبحر سيد سليمان الندوي في اللغة العربية وتمكنه من فنونها وإدراكه على أسرار اللغة العربية ودقائقها. ويقول الدكتور محمد أكرم الندوي عن هذا المؤلف القيم:

"قرر الاجتماع السنوي لندوة العلماء سنة 1910م أن يدون قاموس للكلمات العربية الجديدة وفوضت المسؤولية إلى السيد سليمان فأنجزها في سنتين، وقدمه في اجتماع ندوة العلماء المنعقد 1911م، في لكناؤ الذي ترأسه العلامة محمد رشيد رضا من مصر، وطبع هذا القاموس بإسم (لغات جديدة) في السنة نفسها."10

كان سيد سليمان الندوي من الشخصيات البارزة في الهند التي لعبت دوراً كبيراً في نشر اللغة العربية، وتوطيد دعائمها في ربوع الهند عن طريق التدريس والتأليف. فالعلامة سيد سليمان الندوي بذل جل عنايته في تدريس وتعليم اللغة العربية من أول يومه على رغم توجيه عنايته الخاصة في العلوم الإسلامية، فكان أستاذاً ماهراً للغة العربية، وقد بين أيسر الطرق لتعليم اللغة العربية في الهند، وحاول بكل دقة وإخلاص في صياغة مناهج الدراسة وفقاً لمتطلبات الزمن المتطور. وبذل جل عنايته لرفع مستوى الطلاب اللغوي، فشجع الطلاب على دراسة اللغة العربية، وكسب محاسنها ولأجل هذا الغرض وضع كتاباً للمبتدئين في تعليم قواعد اللغة العربية **(دروس الأدب)** ويعد الكتاب من أهم مآثر العلامة الندوي في هذا المجال، ألفه سنة 1908م لأنه رأى أن المبتدئين يتجشمون مشقة في دراسة اللغة العربية ويعانون عناءً في إدراكها، فقام بتأليف هذا الكتاب القيم في لغة سهلة وأسلوب يسير، حتى استطاع أن يبث في الطلبة حب اللغة العربية. لقد اختار سيد سليمان أسهل الطرق لتدريس قواعد اللغة العربية، التي هي أقرب إلى عقول الناشئين وأثبتها أثراً في نفوسهم.

والكتاب (دروس الأدب) يتكون من الجزئين، في الجزء الأول ناقش عن قواعد اللغة العربية النحوية مع الأمثلة (المرفوعات، والمنصوبات، والمجرورات...) والجزء الثاني يشتمل على البابين، الباب الأول في الجمل، والفقر والباب الثاني في المكالمات.

والكتاب مفيد جداً، فالأساتذة يجدون فيها ضالتهم والتلاميذ أمنيتهم، ولايزال هذا المؤلف القيم مقرراً يدرس في كثير من المدارس في شبه القارة الهندية. ونختم حديثنا حول هذا المؤلف بقول المؤلف نفسه يقول:

"فلما تأسست ندوة العلماء وأقيم معهد كبير رجحت في نصاب تعاليمها كفة الأدب ولكنها لم تجد مختصرات في الأدب يسهل على البيان تناولها ويتمكنوا لها

من المخاطبة في العربية فبذلت مجهودها في تأليف مختصرات أدبية تغني بمطلوبها وتسعف بحاجتها فهذا الكتاب حلقتها الأولى وتليها الأخرى."11

ومما لاشك فيه أن سيد سليمان الندوي هو أحد رواد الخطابة في اللغة العربية، وكانت له قدرة تامة في الخطابة الارتجالية بالعربية، وهبه الله ملكة خاصة في هذا الفن لقد علمنا من ظروف حياته بأنه كيف تمرن بالخطابة العربية عندما كان تلميذا في دربهنكا، وبعد إلتحاقه بدارالعلوم لندوة العلماء توسعت دراسته وتقوت لغته فبرع فيها وتميز بين أقرانه وقد أشار إلى هذه الميزة له الأستاذ الرابع الحسني قائلاً:

"وكان أول ماعرف الناس ميزته بين أقرانه هو ارتجاله لخطبة عربية أمام جمع محترم من المثقفين في حفلة ندوة العلماء السنوية الكبيرة حيث طلب منه أحد القائمين بالحفل أن يخاطب الجمهور باللغة العربية. وهي لغة بعيدة شديدة البعد آنئذ عن أن تكون لغة كلام مرتجل في الهند لعدم ملائمة الجو، وقلة ورود المطبوعات العربية إلى الهند في ذلك الوقت، فلم تكن تنشأ الملكات العلمية والأدبية فيها إلا قليلاً، ولكن الفتى السيد سليمان الندوي استجاب للطلب، وارتجل الخطاب بالعربية، ونال التقدير والإعجاب من الحاضرين، وقد بلغ ذلك سرور أستاذه الخاص العلامة شبلي النعماني مبلغاً عظيماً وخلع عمامته، ووضعها على رأس تلميذه كرمز تقديري لنبوغه."12

هكذا تقوت لديه هذه الموهبة النادرة بالممارسة والمرانة، وأصبح في مقدمة خطباء بالعربية، وذاع صيته بين الأوساط العلمية والأدبية كخطيب ممتاز يملك القلوب بحسن بيانه وطلاوة معانيه، فإذا رجعنا إلى خطبه ومحاضراته التى ألقاها في مناسبات مختلفة، نجده فيها كالنهر الجاري من الجبل، وهذه الخطب تشهد بأن الناس لم يسمعوا هنديا على منصة الأدب والعلم يتكلم وينطق مثل العرب، لاشك أن المعلومات الواسعة في مختلف العلوم واللغات لها أثر بين في توسيع آفاق حياته العلمية والأدبية. وإليكم نموذج من خطبته الارتجالية بالعربية، التي ألقاها في بناء دارالعلوم بين يدي سمو السير آغاخان وجمع من المسلمين:

"لا أدري كيف أهتدي إلى سبيل الشكر لفضلكم الجسم وكرمكم الذي عم، عليَّ أن دعواني إلى أن أتكلم على أن علماء الإسلام أشد حاجة إلى العلوم الحديثة من سائر طوائف الناس، فلبيت دعوتهما وامتثلت بلسان الشكر أمرهمها. سمو مولاي الأفخم وسادتنا الكرام لا ريب في أن الإسلام أول دين على وجه الأرض وآخره دعا أهله إلى طلب العلم والاقتحام في عقباته والتطوح في مهالكه، وكفى له فخراً أن قال كتابه الحكيم "وعلم آدم الأسماء كلها" وقال "هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون" فهذه الآي الكريمة ترشدنا إلى أن العلم تلقيه مما يجب على المسلمين، ولا مندحة لهم عنه، ولاسيما علم الحكمة الذي هو الخير الكثير كما شهد به القرآن الحكيم، أ فترون أيها السادة أن الدين الذي عبر الحكمة بالخير الكثير يستقل حملته خيرها، ويمتنعون عن جداها، ويستنكفون إحرازها قال النبي ﷺ" طلب العلم فريضة على كل مسلم، أفليس الحكمة الحديثة من العلم، وقال ﷺ "الحكمة ضالة المؤمن، حيث وجدها فهو أحق بها" أفترون أيها السادة أن الرسول الذي جعل الحكمة ضالة المؤمن يتقاعد همم ورثته عن نشدها، وتزهد في تطلبها."13

ومن مآثره في مجال ترويج اللغة العربية في الهند توليه إدارة مجلة الضياء، وكانت مجلة (الضياء) من أعلى نماذج الأدب واللغة في ذلك العصر، كان يشرف عليها الشيخ الكبير تقي الدين الهلالي المراكشي الذي كان في تلك الأيام معلماً ومربياً للطلاب في دارالعلوم لندوة العلماء، فكان الطلبة يتمرنون على كتابة اللغة العربية وتنشر أبحاثهم في هذه المجلة، وكان سيد سليمان يرأس إدارة هذه المجلة، وكان يكتب فيها المقالات العلمية والأدبية وينشر فيها قصائده أيضاً باللغة العربية حتى إنه ظهر بين علماء الهند ككاتب عربي وشاعر عربي، ونال الإعجاب والتقدير من الجميع. ونقدم هنا نموذج من إحدى مقالاته القيمة التي نشرت في مجلة الضياء:

"للإسلام مزايا تفوت الإحصاء دررها، وتستغني عن الأبناء غررها إحداها أنه دين وحدة الشعوب والأمم، ودين مؤاخاة البشر والنصيحة لعامة الصالحين، ومن

الوسائل التي اتخذها لتحقيق بغيته هذه، أن جعل للمؤمنين بقرائة، والخاضعين لسلطانه، على اختلاف ألسنتهم وبلدانهم، وجنسياتهم وألوانهم، لغة خاصة وهى لغة كتابه المنزل من السماء يتفاهمون بها معاني القلوب، ويتعارفون بها هواجس الأفكار ويخطب بعضهم بها مودة بعض، فهي على تقلب من الأحوال، لغة عصبة الأمم الإسلامية منذ قرون وأجيال."14

كان العلامة سيد سليمان الندوي من كبار الكتاب باللغة العربية في الهند، فكان يكتب في موضوعات متنوعة، فإن العلامة لم يقيد قلمه السيال بمجال واحد بل كتب في موضوعات متنوعة وفي مناسبات مختلفة كما يقول الأستاذ محمد الرابع الحسني:

"ولم يكن العلامة الندوي متقيداً بموضوع واحد في كتاباته العربية، بل إنه كان يطرق موضوعات مختلفة، فكان حينا محرر مقالات، وحينا آخر كاتب مقدمات للكتب وقد كتب تعريفاً ببعض الشخصيات الكبيرة وذكر صفاته بدقة ووضوح وبلاغة."15

وقد أبدع براعته في اللغة العربية، عندما كتب مقدمة لبعض الكتب، ككتاب (فاتحة تفسير نظام القرآن) وكتاب (إمعان في أقسام القرآن) للمفسر الشهير العلامة حميد الدين الفراهي، ونقدم هنا نموذجا من مقدمة الكتاب للمفسر حميد الدين الفراهي "إمعان في أقسام القرآن":

"الدنيا دار العجائب، ومن أعجب عجائبها وقوع ما كنت تحذر منه، وحدوث ما لم يخطر ببالك. بعثنا هذه الرسالة للطبع، وصاحبها حي يرزق، فلم يمض شهر حتى فوجئنا بموته، وفجعنا بانخرام حياته، وكان رحمه الله آية من آيات الله في حدة الذهن، وكثرة الفضل، وسعة العلم، ودماثة الخلق، وسداد الرأى، والزهد في الدنيا، والرغبة في طلب مرضاة الله.

هو حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد الأنصاري الفراهي. ولد رحمه الله سنة 1280هـ في قرية "فريها" من قرى مديرية (أعظم كره) في الولايات المتحدة بالهند.

وكان إبن خال علامة الشرق ومؤرخ الإسلام شيخ شبلي النعماني و تغمد الله برحمته16".

ومن أعماله النثرية العربية رسائله التي أرسلها إلى أصدقائه علماء اللغة العربية في الهند وخارجها، ويجدر بنا أن نقدم بعض نماذج من هذه الرسائل النادرة.

ومنها رسالة أرسلها إلى الشيخ عبدالعزيز الميمني:

"أطال الله بقاء صديقي عبدالعزيز وأدام سعده السلام عليه ورحمة الله بعد، فقد أتاني منك كتابان ملأهما الحب وحسن الظن، جعلني الله أهلا له، فأشكرك أيها العزيز على إحسانك الظن بي، ثم أشكرك على ما أوليتني من حسن صحبتك وأكرمتني بمأدبة، وأحسنت وفادتي وإن كانت صحبتنا قصيرة ولكني تزودت منها بما يكفيني إلى لقاءات وكل آت قريب. أما ما كتبت عن طبع كتاب المعري فالأمر منوط بلجنة دارالمصنفين الإدارية، وهي ستنعقد في 26 من الشهر الجاري فأعرض عليها هذا الأمر وأؤيد عن ما دعواك بما عرفت وعلمت ولكن قطع الأمر لها، تجيب أو تردّ فإن طاش سهمي وفات غرضي فلا تلمني ولا تعتبني فإني منقاد لما تأمر وتنهى."17

لاشك أن سيد سليمان الندوي كان كاتبا بارعاً وأديبا مبدعا وخطيباً مفوها في اللغة العربية فقد فاق أقرانه فيها، وفي جنب ذلك ظهرت مهارته وقوته في قرض الشعر في اللغة العربية، كشاعر مجيد فقد نظم الشعر في موضوعات مختلفة، فله قصائد في الحكمة و النصيحة و قصائد في وصف المناظر الطبيعية ويمتاز شعره بالدقة والعذوبة يعبر فيها عواطفه ومشاعره تعبيرا صادقاً ويقول الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي عن شاعريته:

"ووجدنا من اعتناء العلامة السيد سليمان الندوي بالأدب العربي اعتناءه بالشعر العربي، فقد نظم الشعر في موضوعات مختلفة، ويدل هذا الشعر على إرهاف حسه، وحسن خياله، وحبه للفضائل والحكمة وقد تجلت في شعره القوة والإجادة والتعبير الطبيعي الجميل، مع أن نظم الشعر العربي بأسلوب يتصف بالتعبير الطبعي

الجميل قلما يتأتّى لرجل لم ينشأ في جو عربي، ولم يطل أو يتكرر اختلاطه برجال اللغة الأقحاح، ولكن الاهتمام بدراسة النصوص الأدبية البليغة مما أنتجتها أقلام العرب الفصحاء قد يصبح بديلاً من ذلك، وذلك الذي كان في سليقة العلامة الندوي الأدبية ..... وذلك كله دليل على مابلغته قريحة العلامة الأدبية في اللغة العربية، ولم يكن العلامة شاعراً يشغل الشعر حياته، بل إنما كان ينظم بمناسبات كانت قريحته تجود فيها."18

ومن شعره الرقيق الرائق وهو يصف فيها منظر غروب الشمس:

كأنما الشفق الممتد في الأفق خمر معتقة شجت لمغتبق
خمرٌ لعتقها في أعلى همالية شجت بماء غمام هامر غدق
كف الطبيعة تسقى الناس أكؤسها ويل لمن هذه الصهباء لم يذق
تحسو القلوب حمياها إذا نظرت إلى السماء بأقداح من الحدق
والطير تشربها حين تروح إليه أوكارها صافرات السجع في حلق
والريح سائرة في روضة أنف تهدي السرور إلى حوباء منتشق
دن من القهوة الصهباء في الأفق والكأس تطفوبه لاالشمس في الشفق
بل إنه برقع قان له شية والشمس وجه حبيب بالحجاب يقي
بل إنما الشمس للصواغ بوتقة قد ذاب عسجدها وانثج في طرق
بل إنما الشمس من أعمارنا قتلت يوما فسال دم جار من العنق
فذلك الشفق المحمر من دمه وقبره ليله المستور بالغسق.19

ويقول الشاعر سيد سليمان الندوي في حب الوطن:

كيف الوصول إلى أهلي وأوطاني بيني وبينهم جدران قيعان
هل من سبيل إليهم بعدما قنطوا من عودتي ورجوعي بعد أزمان
كيف التلاقي وأرض الحب شاسعة ياليتني كنت طيراً لي جناحان
كأن حبلا بقلبي ظل يجذبني إذا ذكرت، إلى أهلي وأوطاني

اذا سكنت الى نوم يؤرقني طيف بهيج شوقي نحو أخداني
يا شوق من عنده قلبي تخلصني فموثق في ديار النأى جثماني
قفر يحل به صحبي وخلاّني خير وماهم معي من روض بستان
من لي بدار اغتراب لا أنيس بها يشد أزري إذ استنجدت أعواني
ومن يرق لمرء لاصديق له إذ طوحته مصيبات ببلدان 20

إنني اعتقد أن هذه النماذج التي قدمناها تكفي لبيان شخصيته العلمية وبراعته الفنية ونظراته الثاقبة وقريحته الوقادة ولسانه الحلو المعسول وهنا أقول كما قال الشاعر:

قليلٌ منكِ يكفيني ولكن
قليلك لا يقال له قليلٌ

الهوامش:

1- حياة سليمان (باللغة الأردية) الشيخ معين الدين الندوي، ص4.2، دارالمصنفين اعظم كر، الهند ، 1973م
2- السيد سليمان الندوي، أمير علماء الهند في عصره، وشيخ الندويين، ص35، د.محمد اكرم الندوي، دارالقلم، دمشق، 2001م، ط1
3- حياة سليمان، ص10.7
4- تذكرة سليمان (باللغة الأردية) الشيخ معين الدين الندوي، دارالمصنفين اعظم كر،الهند 1973م والسيد سليمان، أمير علماء الهند في عصره، وشيخ الندويين، د. محمد اكرم الندوي، ص177
5- المصدر السابق ص65
6- المصدر السابق ص 264
7- السيد سليمان، أمير علماء الهند في عصره، ص264
8- المصدر السابق، ص195
9- المصدر السابق، ص178

10- المصدر السابق، ص330

11- مقدمة الكتاب دروس الأدب، سيد سليمان الندوي، الجزء الأول

12- السيد سليمان، أمير علماء الهند في عصره، ص46

13- مساهمة سيد سليمان الندوي في تطوير اللغة العربية (اللغة الأردية)، د. سطوت ريحانه، ص167، 2002م، علي كره

14- المصدر السابق، ص170

15- سيد سليمان، أمير علماء الهند في عصره، ص181

16- مقدمة الكتاب إمعان في أقسام القرآن، للعلامة حميدالدين الفراهي، دار القلم،دمشق 1994

17- مساهمة سيد سليمان الندوي في تطوير اللغة العربية (اللغة الأردية)، د. سطوت ريحانه ،194

18- السيد سليمان، أمير علماء الهند في عصره، ص184. 185

19- المصدر السابق ص 185

20- مساهمة سيد سليمان الندوي في اللغة العربية (باللغة الأردية)، ص223

المراجع:

1. العلامة سيد سليمان الندوي، الشيخ أبوالحسن الندوي، تعريب آفتاب عالم الندوي، مجلة ثقافة الهند،المجلد 42، العدد 4، ص30. 58، 1919م
2. مقدمة الرسالة المحمدية، سيد سسليمان الندوي، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية، إسلام آباد، الباكستان، 1986م
3. فاتحة تفسير نظام القرآن، حميدالدين الفراهي
4. مجلة (المعارف) العدد الخاص عن سيد سليمان الندوي، مرتب الشيخ معين الدين الندوي، مايو 1905م، دارالمصنفين، اعظم كر، الهند
5. لغات جديدة، سيد سليمان الندوي
6. المصابيح القديمة (برانى جراغ) العلامة سيد ابي الحسن الندوي الجزء الثاني، مكتبة فردوس، لكنو، الهند 2001م

7. العلامة سيد سليمان الندوي أديباً وشاعراً، د. قطب الدين الندوي، مجله البعث الإسلامي، ص83، المجلد 56، العدد 1، 2011م
8. سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين لسيد سليمان الندوي، تعريب محمد رحمت الله الندوي، دارالقلم دمشق 2003

نافذة على أهمّ حركات الإصلاح في الديانة الهندوسية والمجتمع الهندي في القرن التاسع عشر الميلادي

حامد رضا*

{مرّت الديانة الهندوسية بمراحل مختلفة من الازدهار والانحطاط والصعود والهبوط مثل الديانات الأخرى. إنها حكمت قلوب الناس زمنا طويلا دون أن يخاصمها مخاصم، ثم لحق بها التدهور والانحطاط، ودخلت في تقاليدها بعض المفسدات والأوهام، فظهرت الديانة البوذية والديانة اليانية (الجينية) كرد فعل على تلك الطقوس الهندوسية، فأقبل الناس يتهافتون عليهما تهافت الفراش على الشمعة، وأعرضوا عن الديانة الهندوسية وحادوا عنها. وفي القرن التاسع عشر الميلادي كانت الهند مقيدة بقيود العبودية، وكان مواطنوها يعانون مشاكل عديدة في مجالات مختلفة من الحياة. فعلى جانب واحد قد غيّم على سمائها سحاب داكن متراكم من الأمية والإعواز، وعلى جانب آخر كانت جماعة المبشرين المسيحيين بمصاحبة العلوم الجديدة والتكنالوجيا تتحدى معتقدات الديانة الهندوسية وتقاليدها وتقدّم منافسة شديدة لها}.

وفي الحقيقة دخلت في الهندوسية آنذاك خرافات وأوهام تخالف أصول الدين ومبادئه، وكانت الفوارق الطبقية والجنسية، وزواج الأطفال، ومشكلة الأرامل،

• الباحث في الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.

وإحراقهن مع الأزواج بعد وفاتهم، وسيطرة رجال الدين وهيمنتهم على أمور الدين من أهم مظاهر هذه الديانة العريقة، فشمّر الذين تعلموا العلوم الجديدة عن سواعدهم واستعدوا للإصلاح والتقويم في هذه الديانة، فبغوا وطغوا على التقاليد والعادات التي كانت تخالف العقل والمنطق ولا توافق أصول الدين وأمهات الكتب، واعتزموا على أن يقيموا سدا منيعا ضد التيار المتدفق المتلاطم من المبشّرين والإنجليز، من هنا ولدت حركات ومهمات كبيرة وصغيرة لامحاء المفسدات عن الديانة الهندوسية والمجتمع الهندي في القرن التاسع عشر الميلادي. وفي السطور التالية سنلقي الضوء على حركات شهيرة وأصحابها وإسهاماتهم في الإصلاح والتقويم في الديانة الهندوسية والمجتمع الهندي

مجتمع براهما (Brahmo Samaj) :

وعندما نستعرض هذه الحركات وتأريخها، نجد أن حركة مجتمع براهما أي براهمو سماج هي أول حركة نهضت بمسؤلية الإصلاح في الديانة الهندوسية والمجتمع الهندي. أسّسها راجا رام موهن راي (Raja Ram Mohan Roy)عام 1828م في بنغال مع أصحابه وأصدقائه.

ويعرف راجا رام موهن راي بين الهنود كمبتدع الهند الجديدة، كان انتمى إلى أسرة متحفظة جدا للبراهمة من بنغال. قد تعلّم وأجاد لغات عالمية مثل العربية والفارسية والعبرانية والإنجليزية واللاطينية والسنسكريتية، كما كان صحفيا كبيرا. أصدر مجلّات وصحفا في أربع لغات: الفارسية والهندية (أي الأردية في باكورة أيامها) والبنغالية والإنجليزية، ومن أشهر المجلّات له: مرآة الأخبار، والمجلة البنغالية،(Bengal gazette) وطالع فلسفات الديانات الكبرى مثل الإسلام والمسيحية والبوذية والهندوسية، حتى صار من أكبر الفلاسفة في زمانه. ومن أهم كتبه: تحفة الموحّدين في اللغة الفارسية، ومناظرة الأديان في نفس اللغة، وتوفي قرب لندن في بريطانيا عام 1833م.

وننقل هنا ما قال عنه رئيس الوزراء الهندي الأول بندت جواهرلال نهرو المتوفى 1964م في كتابه "اكتشاف الهند"(Discovery of India): "كان راجا رام موهن راي ماهرا في فلسفات الهند وأفكارها، وكان إنتاج ثقافة مختلطة بالهندوسية

والإسلام، وكانت هذه الثقافة المختلطة تسيطر على طبقة المثقفين في الهند آنذاك. وبسبب قدوم الإنجليز في الهند وتفوّقهم في أمور شتّى إنه اضطرّ للاطّلاع على مصادر ثقافتهم، فتعلّم الإنجليزية ولكنه لم يكتف بهذا القدر، بل تعلّم الإغريقية، واللاتينية والعبرانية للبحث عن عيون الدين والثقافة للغرب، كان مغرما بجوانب علمية وتقنية للثقافة الغربية مع أن التغيرات التقنية والعلمية لم تكن جلية آنذاك مثلما أصبحت في الأيام التالية، ولميله إلى الفلسفة والعلوم إنه تعلّم الآداب العريقة"[1]. ويضيف جواهر لال نهرو عن جهود راجا رام موهن راي في إصلاح الدين والمجتمع الهندي ومكافحته ضد ممارسة تقليد "ستي"(Sati) (وهو إحراق الأرامل على كومة من الحطب مع أزواجهن) قائلا بما يفيد:"وكان عالما ومكتشفا، والأهم من ذلك كله إنه كان مصلحا، على الرغم من أنه كان متأثرا بالإسلام في بداية الأيام ثم بالمسيحية إلى حد ما إلا أنه كان يعتقد في أصول دينه، ثم حاول أن يصلح ذلك الدين، فأنقذه من ممارسات قبيحة دخلت فيه، وبسبب مجهوداته الغزيرة قامت الحكومة الإنجليزية بفرض الحظر على ممارسة ستي"[2].إن راجا رام موهن راي بذل مجهوداته في سبيل حقوق النساء وتعليمهن وتمكينهن، و خالف تعدّد الزوجات ودافع عن كرامتهن وشرفهن في المجتمع الهندي كما يقول المؤرخ الشهير بي. تشاندرا(Bipan Chandra):" كان بطلا شجاعا لحقوق النساء، إنه أدان الأوضاع المتدهورة للنساء في المجتمع، وعارض فكرة عامة أن النساء أقل شأنا من الرجال في الذكاء والحس الأخلاقي، هاجم فكرة تعدد الزوجات والدرجة المنحطة التي كانت الأرامل بلغت، ولرفع مكانة المرأة في المجتمع إنه طالب بأن تعطى حق الإرث والملكية"[3].

ومن أهمّ أعمال راجا رام موهن راي الإصلاحية إنه بدأ مهمّته ضدّ ممارسة "ستي" في بنغال والمناطق الأخرى الهندية، ولتحقيق هذا الهدف طبع مقالات عديدة في مجلّات هندية، ومحاولته لإلغاء هذا التقليد القبيح عن الديانة الهندوسية استثنائية، كما كتب كتيّبا باسم "تعديات حديثة على حقوق قديمة للأنثى Modern) Encroachments on the Ancient Rights of Female)وما إن بلغ هذا الكتيب عامّة الناس والمحافظين منهم، حتى ثاروا عليه واستشاطوا غضبا وحنقا،

وهبّت عواصف الخلاف والعناد ضده وأصحابه، فلم يبال بهم وقاوم مثل بطل باسل، ولم يرتح ولم يطمئن قلبه، حتى ألغت الحكومة الإنجليزية هذا التقليد القبيح عام 1829م.

و استخدم راجا رام موهن راي أربع طرائق لبث أفكار هذه الحركة وإذاعة نظريتها بين الناس وهي كما يلي:

- إنشاء المنظمات الدينية
- طباعة الكتب والصحف
- إجراء المناقشات والمناظرات
- إقامة المعاهد التعليمية

دعا أصحاب هذه المنظمة الناس إلى عبادة إلاه واحد وهو براهما، الذي هو منزّه من أن يصوّره مصوّر، وعارضوا أشد المعارضة أن توجد وسيلة بين المعبود والعبد وقت العبادة وخاصة في تقديم التضحيات والقيام بالطقوس الدينية. و أدّوا دورا بارزا وريادیا في تقويم معتقدات الديانة الهندوسية، كما قاموا بإصلاح المجتمع الهندي وإزالة ما كان عليه من الاعوجاج التعليمي والاقتصادي والخلقي، فرفعوا أصواتهم ضد نظام الطبقات المتفاوتة المتواجد حتى الآن في الهندوسية، وقاموا بمطالبة المساواة الإنسانية، وخالفوا زواج الأطفال، وأيّدوا مكانة سامية للنساء مثل الرجال، بما فيها زواج الأرملة ونشر التعاليم المعاصرة بين النساء. يقول المؤرخ الشهير بي. تشاندرا:"كان أصحاب هذه المنظمة من كبار مصلحي المجتمع، إنهم خالفوا نظام الطبقات وزواج الأطفال، ودعموا رفع مكانة المرأة، بما فيها زواج الأرامل، وبثّ التعاليم المعاصرة بين الرجال والنساء"[4].

وركّزت هذه الحركة على نقاط تالية:

1. كان باب هذه المنظمة مفتوحا لكل فرد من أفراد المجتمع بغضّ الطرف عن طبقته وعقيدته ومنطقته.
2. اعتقد أصحاب هذه المنظمة أن الإله يوجد بغير صورة وشكل.

راجا رام موهن راي.

سوامي ففيكاناندا.

سوامي ديانند سرسوتي.

السير سيد أحمد خان.

3. فرضوا الحظر على جميع الطقوس الدينية والتضحيات في مباني هذه المنظمة، إنهم أدّوا العبادة بطريقة التأملات والمجاهدات وقراءة شيئ من أبانيشد(Upanishad)(كتاب مقدّس عند الهندوس).

حركة راما كرشنا (Ramakrishna Mission):

ولد صاحب هذه الحركة سوامي ففيكاناندا(Swami Vivekananda) عام 1863م في أسرة هندوسية بنغالية، وتعلّم في مدرسة إنجليزية ودرس فلسفات الهند وأوربا بعمق، وأصبح من أتباع راما كرشنا الذي اعتقد بصحة جميع الأديان وصدقها، فتأثّر به كثيرا، وصار من أكبر مصلحي الديانة الهندوسية، ومن أكبر دعاة العقلانية، وهي نظرية تقول إن العقل هو في ذاته مصدر للمعرفة أسمى من الحواس ومستقل عنها.

إنه سافر أقصى الهند وأدناها، ورآى مشكلات الناس وما صار إليه أمرهم من التدهور والانحطاط في أوضاعهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، وما عمّت فيهم من الأمّية والفقر والمعتقدات الخرافية والطقوس الفاسدة والقبيحة، فاضطرب وقلق، واعتزم على إبعادها عن الديانة الهندوسية وصمّم على استئصالها عن المجتمع الهندي مهما كلفه الأمر. ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1893م للإسهام في اجتماع الأديان العالمية، (World Religious Congress)وألقى خطابا تأريخيا عن الهند وفلسفتها والديانة الهندوسية، وعرّفها أمام مثقّفي الغرب، وبيّن ما لها من محاسن وما لها من تعاليم للإنسان جميعا، وخاطب السامعين بألفاظ الإخوة والأخوات، فدهشوا وفتنوا بقوة كلامه، وصار عدد لا بأس به من أتباعه، فأقام مجتمع فيدانتا(Vedanta Society) في الولايات المتحدة الأمريكية، وقام بدعاية الهندوسية والروحانية ويوغا (Yoga) في أمريكا وأوربا على ضوء العقل والمنطق، يقول المؤرخ الشهير محمد طارق عنه: "من أهم إسهامات ففيكا ناندا في الديانة الهندوسية إنه جعل الروحانية في حياة عملية، ولا يوجد تناقض ما بين عمله ونظريته خلاف مصلحي المجتمع المعاصرين له، إنه خلّف أثرا طويل المدى على آلاف من الهنود المثقّفين وعلى وجه الخصوص الهندوس، وساهم في تطوير الثقة بالنفس، ولا نجد أن المثقفين قد تأثروا بمصلحين آخرين، كما تأثروا

بفيكاناندا، وعلى الرغم من أنه توفي قبل سنوات ولكن مهمته فعّالة وحيّة، وإنها نشيطة في ثلث وثلاثين بلدا تقريبا في العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، وبورما (وهي ميانمار حالياMayanmar)، وبريطانيا وباكستان"[5]. توفي عام 1902م.

أسّس سوامي فيكاناندا مهمة راما كرشنا في قرية بيلور (Belur) قرب كولكاتا عام 1897م، وفي بداية الأمر كانت هذه الحركة تهدف إلى القيام بالأعمال الخيرية والمهمات الترفيهية والتطوّعية في صالح عامة الناس مثل معونة الناس المنكوبين بالقحط والمجاعة، بعد ذلك توسّعت آفاقها، فأسّست المكتبات والمستشفيات ودور الأيتام، وأصبحت حركة شهيرة لخدمة المجتمع الإنساني وإنقاذه من مهالك السيئات والقبائح، ويمكننا أن نلخّص أهداف وأفكار هذه الحركة ومؤسسها في نقاط تالية:

- اعتقد أصحاب هذه الحركة أن جميع الأديان على حق وصراط سوي، فلاضرورة ولا فائدة في اعتناق الأديان الأخرى.
- إن العلم والعمل والإخلاص من مصادر البلوغ إلى الله.
- يمكن رفض التقاليد الدينية إذا خالفت العقل والمنطق.
- كل منا يستطيع أن يشعر بوجود الإله بدون وسيلة.
- أدان سوامي ففيكانندا بالهند وأهلها لأجل تواجد الطبقات والتفريقات على أساس الولادة، وذهب ضد المعتقدات الوهمية والمفسدة.
- إنه حثّ النسّاك والمتعبّدين على أن يحاربوا الفقر والإعواز والأمية بدلا من أن يلوذوا إلى الغابة والصحراء.
- شدّد على تعليم النساء مثل راجا رام موهن راي.

لا تزال تعمل هذه الحركة في الهند وخارجها مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وبورما بنشاط وحماسة. ويقول رئيس الوزراء الأول الهندي بندت جواهرلال نهرو عن سوامي ففيكا ناندا وحركته في كتابه "اكتشاف الهند"(Discovery of India): "أنشأ سوامي ففيكا ناندا بالرفق مع الإخوة المتبعين مهمة رام كرشنا للخدمة مجانا، وعلى الرغم من أنه كان مزهوّا بوراثة الهند، وكانت له صلة عريقة مع الماضي، إلا أنه كان عصريّا في معالجة مشاكل الحياة، وكان في الحقيقة مثل جسر بين ماضي

الهند وحاضرها، وكان خطيبا مصقعا في اللغة البنغالية والإنجليزية، وكاتبا كبيرا في اللغة البنغالية نثرا ونظما، وكان صورة رجل عظيم يحمل الكرامة والوقار واثقا بنفسه ومهمته، وفي نفس الوقت ذا صلاحية ساحرة مفعمة بالنشاط والحركة وعاطفة صادقة لدفع الهند إلى الأمام"[6].

مجتمع آريا(Arya Samaj) :

كان سوامي ديااناند سرَسوتي (Swami DayanandSaraswati) من كبار علماء الهند، ولد عام 1824م في سلطنة كاتياوار في غوجرات، وقد اشتهر في الهند وخارجها لتأسيسه حركة "مجمتع آريا"(Arya Samaj) في مومبائي عام 1875م، التي انتقلت إلى لاهور عام 1877م.كان إحياء التقاليد القديمة للهندوسية، والدفاع عن ثقافتها ووراثتها من أهم أهداف هذه الحركة، "وكانت حركة مجتمع آريا من أهم الحركات الإصلاحية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، أسّسها سوامي ديااناند سرسوتي الذي كان من غوجرات، ولكن الحركة ركّزت نشاطاتها على الهندوس من بنجاب، وكان شعار هذا المجتمع "الرجوع إلى فيدا"، وفسّر أصحابها فيدا بطريقة خاصة. في الحقيقة كان وجود هذه الحركة ردّ فعل لنفوذ الإسلام خاصة والمسيحية عامة، وكانت حركة النضال والإصلاح بين الهندوس، ومنظمة الدّفاع للحفاظ والصيانة عن مهاجمة خارجية، عرّفت الارتداد في الهندوسية، ولذا تعرّضت للصراع مع الأديان ذات نظرية الارتداد"[7]. قال عنه بندت جواهر لال نهرو.

سافر سوامي ديااناند سرسوتي أنحاء الهند وقابل العلماء والباحثين وأجرى معهم مناقشات عن الهندوسية وفلسفة فيدا، ووضع فلسفة فيدا مرمى نظريته، واعتقد بها أكبر اعتقاد، ورفض من الهندوسية ما خالفها، فذهب ضد العادات الشائعة آنذاك مثل عبادة الأوثان، ونظام الطبقات، ووساطة رجال الدين أي البراهمة بين العبد والمعبود، والأمّية الفاشية، وأوضاع النساء المتدهورة، والتقاليد الشائعة الأخرى، وكان من دعاة التعاليم الجديدة للنّاس جميعا، فأخذ بعض من أتباعه يمدّون شبكة المدارس الإنجليزية في أنحاء شمال الهند، كي توفّر التعاليم على طريقة أوربا، إنه واجه تهديدات على حياته من قبل الهندوس الرجعيين والمتطرفين لأجل انتقاده اللاذع للهندوسية وتنديده بالطقوس الدينية واتخاذ موقف إيجابي من التعاليم

الإنجليزية، ألّف كتابا أسماه ستيارت بركاش (Satyarth Prakash) أي النور الصادق، توفي عام 1883م.

ومن مهمات هذه الحركة إنها دعت الناس إلى:

- توفير الفرص السويّة للجميع حسب أعمالهم ومحاسنهم.
- إقامة الإخاء والمودة بين جميع الإنسان بغض النظر عن دينه ومذهبه وطبقته.
- أن فيدا تكون سلطة وحيدة للعبادة والتأملات.
- الإحسان إلى جميع الإنسان والإسداء إليه الخير والمعروف.
- الإخلاص في القول والعمل من أهم شروط لكون أعضاء هذه الحركة.

ولكن أصبحت هذه المنظمة فيما بعد منظمة مثيرة للجدل، ومتطرفة أصولية لنشر الهندوسية في شمال الهند خاصة، واشتغلت بحركة شودهي (Shuddhi) أي حركة التطهير، التي أجبرت غير الهندوس وخاصة المسلمين على أن يتطهّروا بالعودة إلى الهندوسية. وهذا مما سبّب إضرام نار الاضطرابات الطائفية في شمال الهند كثيرا، كما هو مكتوب في كتاب "الهند الحديثة" (Modern India) الذي يدرّس في الفصل الثاني عشر من مدارس الهند الحكومية: "وفي نفس الوقت كان من أهداف أعضاء هذه المنظمة منع الهندوس عن اعتناق الأديان الأخرى، وهذا مما أدّى إلى بدء النضال ضد الأديان الأخرى، وصار هذا النضال سببا مهما ومشتركا لمضاعفة الاضطرابات الطائفية في الهند في القرن العشرين الميلادي"[8].

مجتمع برارتنا (Prarthna Samaj):

تأسّست هذه الحركة في بومبائي عام 1876م. وكان رام كرشنا غوبال (Ram Krishna Gopal)، وأيم. غوفند رانادي (M. Govind Ranade) من روّادها. هناك تشابه كبير بين هذه الحركة وحركة براهمو سماج في أهدافها ونشاطاتها، إلا أنها أبقت هويّتها كحركة للهندوس فقط، ومن معتقدات هذه الحركة:

- إن الإله هو المعبود الوحيد والقادر وليست له صورة.
- ينكرون نظرية التناسخ على أساس العمل.

- كذلك يرفضون عبادة الأصنام وسلطة رجال الدين وهيمنتهم في أمور العبادة.
- يؤمنون بسلطة فيدا وأبانيشد.
- يحبون الإله بطريقة الإخلاص والعبادة.

إن أيم. غوفند. رانادي الذي يعتبر مبتكرا للنهضة في الهند الغربية، كان قاضيا، ومصنّفا، ومصلحا اجتماعيا، وصحفيا طليقا. وتقلّد منصب عضو قانوني للحكومة في بومبائي لثلاث فترات منذ عام 1890م حتى وافته المنيّة عام 1901م، هو الذي أسّس جمعية لزواج الأرامل أيضا.

اعتنى رجال هذه الحركة بالإصلاح في أمور الدين، كما صرفوا اهتمامهم إلى الأخلاق العالية والعادات السامية، فمن معاني الدين عندهم أن يتحلى أتباعه بحلي الصفات الجميلة مثل العطف للمسنّين والأطفال، والرفق بالفقراء والمساكين. والأمانة والإخلاص والصدق في التجارة والعلاقات الذاتية، والعدل والإنصاف للجميع. فلا يتمّ الدين عندهم إلا إذا نفّذت أموره في حياة عملية.وهؤلاء ركّزوا اهتمامهم على الزواج وتناول الطعام مع أناس الطبقات المختلفة وزواج الأرامل، وإقامة دور المأوى لهن، وتأسيس الجمعيات الخيرية للطبقات المتخلّفة، و انتشرت هذه الحركة في جنوب الهند أيضا. يقول المؤرخ محمد طارق عنها: "انتشرت حركة مجتمع برارتنا في جنوب الهند أيضا لأجل أعمالها الخيرية وموقفها غير المنحازة، وتحقق هذا لسبب مجهودات في. بنتولو (V. Pantulu)، إلّا أن تاثيراتها في مومبائي أكثر وقعا من أي مكان آخر، حيث قادت حركات وطنية أيضا"[9].

كانت هذه أهم الحركات التي عملت ونشطت في القرن التاسع عشر الميلادي في الهند للإصلاح والتهذيب في المجتمع الهندي والديانة الهندوسية، و في الحقيقة كان الهنود بغض الطرف عن الأديان والطبقات متخلفين جدا في العلم والبحث وفي كل ميدان من ميادين الحياة بالنسبة إلى حكّامهم الإنجليز الذين كانوا مسلّحين بأسلحة العلوم العصرية والتكنالوجيا، لأجل ذلك نجد قائمة طويلة للحركات والمهمات التي شهدها المجتمع الهندي والأديان الأخرى المتواجدة آنذاك مثل الإسلام والمجوسية والسيخية بجانب الهندوسية، ونتيجة لذلك إنها جميعا تعرضت لبعض

التغيّر والتبدّل والإصلاح، فنجد عند المسلمين حركات عديدة مثل حركة عليجراه (Aligarh Movement)، وحركة أحمدية، وحركة ديوبند، وحركة فريدية.

واحتلت حركة عليجراه من بين هذه الحركات أهمية كبرى في تأريخ مسلمي الهند. كان رائدها السير سيد أحمد خان المتوفى سنة 1898م، إنه رآى أن الوسيلة الوحيدة للارتقاء والتطور للمسلمين هي تعاليم عصرية، فاعتزم على نشرها وتضييق الفجوة الكائنة بين المسلمين والإنجليز بسبب ثورة 1857م، فواجه عاصفة من الخلاف والعناد من قبل المسلمين المحافظين ورجال الدين الذين عاملوا مع التعاليم الإنجليزية معاملة الكفر والإلحاد وأصدروا الفتاوى ضد تعلّمها. فقام بإشعال سراج العلم والنور أمام هذه الهوجاء، وفتح كلية استشراقية إنجليزية محمدية (Mohammadon Anglo-Oriental College) في عليجراه بولاية أترابراديش عام 1875م التي سمّيت فيما بعد بجامعة عليجراه الإسلامية. ونجد كذلك في المجوسية بعض الحركات للإصلاح والتهذيب لتعليم النساء وأمور زواجهن ومنزلتهن في المجتمع، قد أسّس نوروجي فردونجي (Naoroji Furdonji) و دادا بائي نوروجي (Dadabhai Naoroji) المتوفى سنة 1917م جمعية الإصلاح الديني(Religious Reform Association)عام 1851م. أما الديانة السيخية فهي قامت بتطهير إدارة معابد السيخ، فأنشأ أصحابها كلية خالصا (Khalsa College) في أمرتسر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

الهوامش:

[1]Page No. 343, Discovery of India, Jawaharlal Nehru, Penguin books, New Delhi-17, 2010. (قام كاتب هذه المقالة بترجمة النص الإنجليزي إلى اللغة العربية)

[2]Page No. 344, Discovery of India, Jawaharlal Nehru, Penguin books, New Delhi-17, 2010. (قام كاتب هذه المقالة بترجمة النص الإنجليزي إلى اللغة العربية)

[3]Page no.131, History of modern India, Bipan Chandra, Orient BlackSwan,2011.(قام كاتب هذه المقالة بترجمة النص الإنجليزي إلى اللغة العربية)

[4]Page no.221, History of modern India, Bipan Chandra, Orient BlackSwan, 2011.(قام كاتب هذه المقالة بترجمة النص الإنجليزي إلى اللغة العربية)

[5]Page no. 4.20, Modern Indian History, Mohammad Tarique, Tata McGraw Hill Education Private Limited, New Delhi, 2011. (قام كاتب هذه المقالة بترجمة النص الإنجليزي إلى اللغة العربية)

[6]Page No. 368, Discovery of India, Jawaharlal Nehru, Penguin books, New Delhi-17, 2010. (قام كاتب هذه المقالة بترجمة النص الإنجليزي إلى اللغة العربية)

[7]Page No. 367, Discovery of India, Jawaharlal Nehru, Penguin books, New Delhi-17, 2010. (قام كاتب هذه المقالة بترجمة النص الإنجليزي إلى اللغة العربية)

[8] Page no. 175, Modern India, A History Textbook for Class 12th, NCERT, New Delhi, 2004AD. (قام كاتب هذه المقالة بترجمة النص الإنجليزي إلى اللغة العربية)

[9]Page no. 4.21, Modern Indian History, Mohammad Tarique, Tata McGraw Hill Education Private Limited, New Delhi, 2011. (قام كاتب هذه المقالة بترجمة النص الإنجليزي إلى اللغة العربية)

المصادر والمراجع:

- Discovery of India, *Jawaharlal Nehru*, Penguin Books, New Delhi-17 2010AD.
- History of Modern India, *Bipan Chandra*, Orient BlackSwan, Asif Ali Road,New Delhi-02, 2011AD.
- https://en.wikipedia.org/wiki/Ram_ Mohan_Roy
- https://en.wikipedia.org/wiki/Swami_Vivekananda
- India's Greatest Speeches, *NitinAgarwal*, Grapevine India Publishers Pvt.Ltd. New Delhi -008, 2014AD.
- Modern India, A History Textbook for Class 12th, *NCERT*, New Delhi, 2004AD.
- Modern Indian History, *Mohammad Tarique,* Tata McGraw Hill Education, New Delhi-008, 2011AD.

ميغالايا: مثوى الغيوم

أرشنا كوماري*
Archana Kumari

ترجمة: أ. د. ولي أختر الندوي**

{ميغالايا من أوفر ولايات الهند حظا من الجمال. فمناخها لطيف منعش على نحو فريد، وثقافتها وتقاليدها فاتنة وخلابة، حيث أنها تقوم على علاقة مباشرة مع الطبيعة. والمرأة في المجتمع الميغالاوي تتبوأ المنزلة الأولى، لأن النسب فيه يُعزى ويُرجع إلى المرأة فحسب. إن هذا المقال سوف يبحث عن مجتمع وثقافة ثلاث قبائل رئيسية لولاية ميغالايا، وهي قبيلة كازي (Khasi) وجاينتيا (Jaintia) وغارو (Garo)، كما أنه يقوم بتقييم أنواع مختلفة من التراث غير المادي لهذه الولاية}.

مدخل:

إن ولاية ميغالايا التي تعني "مثوى الغيوم" في اللغة السنسكريتية تقع في الجزء الشمالي الشرقي من الهند. وقد اكتسبت الولاية اسمها هذا لأن الغيوم تغطي كافة ربوعها على مدار العام تقريبا. وقد كانت في وقت سابق جزء من ولاية آسام، ولكنها في 21 يناير لعام 1972م حصلت على رتبة ولاية كاملة. وإن عاصمتها شيلونج

---

* باحثة في الدكتوراه، مركز الدراسات الروسية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي. .CRS,SLL&CS, J.N.U., New Delhi.

** *رئيس قسم اللغة العربية، جامعة دلهي*

(Shillong) تسمى "إسكتلندا الشرق". إن ولاية ميغالايا بصفة أساسية تنقسم إلى ثلاث مناطق جبلية رئيسية: وهي منطقة تلال كازي، وهي ميغالايا الوسطى، ومنطقة تلال غارو، وهي ميغالايا الغربية، ومنطقة تلال جاينتيا وهي ميغالايا الشرقية. والولاية في معظمها تتكون من المناطق الجبلية، وتقطنها ثلاث قبائل رئيسية، وهي قبيلة كازي وغارو وجاينتيا، والأخيرتان تتشابهان إلى حد كبير في كثير من الجوانب. ويعتقد أن أبناء قبيلة كازي كانوا أول المهاجرين الذين شقوا طريقهم عبر شمال ميانمار إلى منطقة كازي الواقعة في سفوح شرق آسام[1]. والولاية معتدلة المناخ، وهي من أكثر أماكن العالم نصيبا من المطر على وجه الأرض[2]. وإن إحدى أماكن ميغالايا ماوسينرام (Mawsynram) لا يزال يحظى بالرقم القياسي في العالم لهطول الأمطار الغزري فيه على مدار السنة. وإن حوالي ثلث أراضي الولاية التي تغطيها الغابات غنية جدا في التنوع الحيوي المختلف الأشكال. وبالرغم من أن اللغة الإنجليزية هي لغة الولاية الرسمية، ولكن هناك ثلاث لغات أخرى معترف بها، وهي لغة غارو وكازي وبنار. إن غالبية مجتمعات ميغالايا القبلية تدين بالمسيحية، ولكن أتباع الديانات الأخرى مثل الإسلام والهندوسية والبوذية واليانية والسيخية أيضا يعيشون فيها في أعداد لا بأس بها[3]. واشتهرت ميغالايا باتباعها النظام الأمومي الذي ينتقل فيه إرث الأسرة إلى النساء. والزراعة هي المهنة الرئيسية للناس فيها.

الناس والمجتمع والثقافة:

إن غالبية سكان ولاية ميغالايا هم قبليون، ويعيشون حياة بسيطة جدا. ومن بين المجتمعات القبلية الثلاث يشكل أبناء قبيلة كازي أعلى السكان عددا، ويليهم أبناء قبيلة غارو ثم قبيلة جاينتيا[4]. ولكل قبيلة من هذه القبائل أصول وسلالات عرقية مختلفة.

ويقال إن أبناء قبيلة كازي ينتمون إلى الأصل المون خميري(Mon-khmer) من جنوب شرق آسيا الذين نزلوا إلى شرق ولاية آسام. وكازي مصطلح عام يطلق

على مجموعات عرقية مختلفة ومجموعاتها الفرعية التي تعيش في تلال كازي وجاينتيا. ويعتقد أن سكان السهول هم الذين أضفوا اسم كازي على هذه الجالية. في حين يعتقد البعض أن اسم كازي مشتق من كلمة " Khyriem" للغة الكازية التي تعني حرفيا "الشعب القادم من الغرب". وبالرغم من أن معظم أبناء قبيلة كازي قد اعتنقوا المسيحية دينا، ولكن لا يزال عدد قليل منهم يتبعون ويمارسون الديانة المحلية القديمة. وهناك عدد قليل من أبناء قبيلة كازي من المسلمين أيضا جراء التزاوج بين الجاليات. وإن عددا قليلا جدا منهم يدينون بالهندوسية أيضا، وهم الذين يعيشون في تلال جاينتيا لولاية ميغالايا، وذلك نظرا إلى اختلافهم إلى أراضي ولايتى آسام وبنغال عبر مئات السنين.إن أبناء قبيلة كازي الذين يقطنون في تلال كازي لهم لهجات مختلفة، ولكن ليس لهم خط خاص بهم. وأبناء كازي ذوو بنية قوية، وقصار القامة، وتميل سحنتهم إلى اللون الرمادي الضارب إلى الصفرة.

يعتقد أن قبيلة غارو انحدرت أصلا من أرض غارولاند (Garoland) الواقعة في التيبيت، وهم ينتمون إلى العرق التيبيتي البورمي (Tibeto-burman). وتتواجد هذه القبيلة في ميغالايا وفي ولاية آسام ودولة البنغلاديش أيضا. وهم يُدعَون أيضا باسم أتشيكز (Achiks) وذلك يعني شعب التلال. أما في ميغالايا فهم يوجدون أساسا في الجزء الجنوبي من تلال غارو التي أخذوا منها اسمهم. في شهر ديسيمبر عام 1872م قام البريطانيون بضم تلال غارو إلى أراضي الهند. إن غالبية أبناء قبيلة غارو مسيحيون، غير أنه في بعض المناطق الريفية لايزال الناس يتبعون الديانة الوثنية القديمة وممارساتها.

ويطلق على أبناء قبيلة جاينتيا لقب بنار (Pnar) أو سينتينج (synteng) أيضا، حيث يستخدم لهم المحليون اسم بنار، ويستخدم لهم الوافدون عليهم لقب سينتينج. يدعي أبناء قبيلة جاينتيا أنهم خلفاء (Ki Hynniew Trep) ، وذلك يعني الأكواخ السبعة. ومثل أبناء قبيلة كازي إنهم أيضا يعتقدون أنهم انحدروا من العرق المون خميري الأستراليانى البدائي (Proto-Australoid Monkhmer).

وكانت لجاليات جاينتيا مملكة خاصة عرفت باسم "مملكة جاينتيا" التي استولى عليها البريطانيون عام 1835م. وفيما بعد في وقت لاحق اندمجت هذه المملكة في إقليم آسام المتواجد آنذاك. إن لغة بنار هي لهجة أبنائها، وهي تكتب أساسا بالحروف اللاتينية. وهم أكثر تأثرا بالديانة الهندوسية.

المهنة:

كما ذكرنا فيما سبق إن معظم سكان ولاية ميغالايا يشتغلون بالزراعة. ومحاصيلهم الزراعية الرئيسية هي الأرز والذرة وبعض البقول والبطاطس والمحاصيل البستانية (البرتقال والأناناس والكمثرى والخوخ وغيرها). وتمارس القبائل بصورة عامة الزراعة المتحولة وزراعة المدرجات. ففي الزراعة المتحولة يتم قطع أشجار أراض خاصة، فتجفف، ثم تحرق. والمحاصيل الزراعية التي تزرع بهذه الطريقة هي الأرز والذرة وأمثالهما، وتستخدم فيها الأرض لفترة محدودة. وعندما تبدأ العائدات في التناقص فيختار الفلاح أرضا جديدة أخرى، ويعيد العملية نفسها. أما زراعة المدرجات فتمارس على المنحدرات الجبلية وكذلك في الوديان. وإن هذا الأسلوب من الزراعة يتميز بنوع من الاستقرار، ويساعد في الحفاظ على رطوبة التربة. والمحاصيل الزراعية لهذا النوع من الزراعة هي الذرة والفاصوليا والبطاطا والجوت والأرز. وإن أبناء القبائل يستخدمون الغابات أيضا للاستفادة منها كمؤشرات للمواسم الزراعية المختلفة. فمثلا إن ظهور أوراق جديدة من البلوط المشرشر (المعروف محليا باسم رينتياج (Ryntiang) يشير إلى بدء فصل الربيع، الموسم ما قبل البذر[5].

مجتمع ميغالايا:

ويوجد في ميغالايا المجتمع الأمومي (matrilineal) . وقد تم اشتقاق كلمة matrilineal من كلمةmater matris(أي الأم) اللاتينية، وتدل على القرابة أو النسب المبني على الأم أو على الخط الأنثوي[6]. وفي بعض الأحيان، يخلط الناس بين المجتمع الأمومي والنظام الأمومي. إن المجتمع الأمومي لا يعني ألبتة النظام الأمومي أو حكم الإناث. وفي أدب الهند القديم، قد استخدم مصطلح ناري راجيا

(مملكة الإناث) للدلالة على النظام الأمومي، كما توجد أيضا إحالات إليه في ملحمة المهابهارتا القديمة[7]. ويقال إن نظام ناري راجيا الذي ورد ذكره في ملحمة المهابهارتاهو المجتمع الأمومي السائد حاليا في ولاية ميغالايا[8]. وفي هذا المجتمع الأمومي، إن المرأة تلعب دورا قويا فاعلا، حيث ترث الابنة الصغرى من الأسرة جميع ممتلكات الأسرة. وتعود ممتلكات المرأة إذا لم ترزق بنتا لأختها بعد وفاتها، وهذا يخالف تماما ما يسود في المجتمعات الأخرى. ولا تكون الزيجات داخل العشيرة نفسها، حيث العلاقة الجسدية الحميمة بين أفراد من العشيرة نفسها هي خطيئة لا تغتفر. وفي هذا المجتمع، يعتبر الرجل رب الأسرة ، وهو الآخر يلعب دورا مهما في عملية صنع القرار. يصف ديفيد روي[9] التراث الأمومي لولاية ميغالايا وهو يقول إن "الرجل هو المدافع عن المرأة، ولكن المرأة هي حارس ثقته"[10]. وبالعكس تماما من المجتمعات الأخرى، إن على العريس هنا أن يدفع قيمة ملابس عروسه أثناء الزواج، وأحيانا إذا كان العروس ثريا عليه أن يدفع تكاليف وليمة الزيجة أيضا. ويعيش الزوج في منزل العروس بعد زواجهما.

ثقافة ميغالايا:

العادات الغذائية:

إن الغذاء الرئيسي لسكان الولاية هو الأرز إلى جانب اللحم المتبَّل والأسماك. تقوم القبائل بتربية الماعز والخنازير والطيور والأبقار وغيرها لتقتات بلحومها. وتختلف العادات الغذائية من قبيلة لأخرى. إن أبناء قبيلة كازي وجاينتيا لهم أساليبهم في الطبخ والطهو مثل جادوه (Jadoh) كي كبو (Ki Kpu) وتونغ ريمباي(Tong Rymbai) ومُخلَّل براعم الخيزران[11].

ولأبناء قبيلة غارو لهم طريقتهم في الطهو مثل اللحوم الجافة والوجبات المشتملة على براعم الخيزران. وهم يتعاطون أيضا بيرة الأرز المتخمر. ويتعاطى أبناء قبيلة جاينتيا الخمور المحلية المعروفة باسم كياد (Kiad)، وهي معروفة جدا بينهم، وتستهلك في جميع احتفالاتهم الدينية تقريبا. وهم يتعاطونها بكمية صغيرة

للاستشفاء من بعض الأمراض البولية والديزنطاريا أيضا. ويتم إعداد هذه الخمور من الأرز الأحمر المحلي.

مهرجانات ميغالايا:

إن الموسيقى والرقص جزء لا يتجزأ من حياة القبائل القاطنة في ولاية ميغالايا. فهم يعبرون عن دخائل نفوسهم عن طريق الموسيقى والرقص من المهد إلى اللحد. وهم يغنون أغاني شعبية خاصة بالميلاد والزواج والمهرجانات مصحوبة بالطبول والمزامير. وإنهم من خلال أغانيهم يكيلون الثناء على الطبيعة، ويعبرون عن حبهم لأرضهم.

ولكل قبيلة من قبائل ميغالايا الثلاث أعيادهم ومهرجاناتهم الخاصة التي يحتفلون بها مفعمين بالنشاط والقوة. وفيما يلي أذكر بعض المهرجانات الشهيرة لهاتيك القبائل.

مهرجانات قبيلة كازي:

كا شاد سوك مينزيم:

إن أبناء قبيلة كازي يرتبطون ارتباطا وثيقا بالطبيعة. يتم الاحتفال بمهرجان كا شاد سوك مينزيم(Ka Shad Suk Mynsiem) في شهر إبريل عبارة عن الشكر للطبيعة الأم إزاء المحاصيل الوفيرة. ويشارك كل من الرجال والنساء (الأوانس فقط) في الرقص الذي يبدأ مصحوبا بالطبول وآلات النفخ والصنج الذي يزيد من سحر الإيقاع، فتخط دائرتان اثنتان، وترقص السيدات داخل الدائرة الداخلية، أما الرجال فيرقصون دائما على الدائرة الخارجية. تخطو النساء إلى الأمام ثم في الاتجاه المعكوس وعيونهن خافضة. وتتميز تحركات الرجال بنشاط أكثر حيث إنهم يتحركون تحركا بالغ السرعة حول السيدات باتجاه حركة عقارب الساعة وعكسه. وبهذه الطريقة يلعب الرجال دور المدافعين عن السيدات اللاتي يتواجدن داخل الدائرة. إن هذه الرقصة ترمز أيضا إلى إخصاب النساء لأنهن أوعية البذور، كما

أنهن حاملات الفواكه أيضا، أما الرجال فهم المزارعون الذين يزرعون ويقومون برعاية البذور، حتى يحين أوان المحاصيل.

كا بوم–بلانج نونجكريم:

يستغرق هذا الاحتفال خمسة أيام. ومثل المهرجان السابق الذكر يتم الاحتفال بهذا المهرجان أيضا تقديما للشكر لله على المحاصيل الوفيرة، إلى جانب سيادة أجواء السلام والرخاء في شهري أكتوبر ونوفمبر. إن تضحية الماعز من أهم الطقوس المتبعة خلال هذا المهرجان. فبعد القيام بالطقوس الدينية يرقص الرجال والنساء غير المتزوجات على إيقاع الموسيقى التقليدية. وتتزي النساء بأزياء ملونة، وتُتوِّج التيجان الذهبية أو الفضية رءوسهن بزهور صفراء جميلة. ويخلق الرجال والنساء خلال رقصتهم دوائر، وتشكل المرأة فيها الدائرة الداخلية، ويرقص الرجال ببالغ النشاط حاملين السيوف وشعر الياك في أيديهم.

كا–شاد–شينج ويانج–ثانجياب:

إن أبناء قبيلة كازي يعبرون عن حزنهم على موتاهم عن طريق الرقص والاحتفال به. إن الرقصة تتضمن البركة والنعمة للأرواح الراحلة. تبدأ هذه الرقصة خارج باب المطبخ، ثم ينضم إليها الرجال وهم يلعبون بالطبول والموسيقى والمزامير وأعمدة الخيزران.

كا–شاد كيونجوه كازكاين:

يتم الاحتفال بمهرجان الرقص هذا عندما تنتقل الأسرة من منزل إلى آخر، وخاصة إلى منزل جديد، فتقوم الأسرة مصحوبة بأبناء الجالية باحتفال رقصة كا–شاد–كيونجوه كازكاين(Ka-Shad-Kyonloh Khaskain). ولا يلبس الناس في هذه الرقصة ملابسهم التقليدية، بل يمكنهم أن يرتدوا أي لباس شاءوا. ترقص النساء في دائرة وتمسك بعضهن أيدي البعض، ويتحرك الرجال حول الدائرة.

كا بام خانه شنونج:

إن مهرجان كا بام خانه شنونج هو أساسا مأنسة اجتماعية كبيرة يشارك فيها الناس عن بكرة أبيهم رجالا ونساء وأطفالا. وهو في الحقيقة نوع من "مأدبة المجتمع

القروي" يعبر فيها الناس عن امتنانهم لله على السنة الماضية، ويتطلعون إلى نعمه في السنة القادمة. تشارك القرية بقضها وقضيضها فيها، وتتبرع لها كل أسرة ببعض النقود. وتزين لها الخنازير، ويرافقها الرجال وهم يعزفون الموسيقى التقليدية على الطبول والمزامير. يتم الاحتفال بهذا المهرجان على منحدر في ضواحي القرية. ويتم اختيار كبار السن أو السيدات المتخصصات في فن الطهو لإعداد المأدبة. ويتزي قائد الموكب بزي المهرج، ويلبس سائر الناس أفخر ما عندهم من الملابس ليغنوا ويضحكوا على المهرج. وإذا استهلت المأدبة يُقدم الطعام أولا إلى السيدات والأطفال وكبار السن.

أمسان نونجكاراي وشاد بيه سير:

يرتبط هذان المهرجانان بالذبائح الحيوانية والصيد. يستغرق المهرجان الأول خمسة أيام، ويجري الاحتفال به في فترة الربيع من أبريل أو مايو. وفي هذا المهرجان تقدم قرابين الماعز والديوك إلى الإله الرئيس لقبيلة كازي الذي يسمونه لي شيلونج (LieShyllong). وتقام الصلوات في الليلة الأخيرة من المهرجان لإقامة اتصال بين المتناهي واللامتناهي. ويرقص الراقصون الذكور بعد الصلاة، وذلك لإنقاذ الناس من العاصفة والبرد وويلات المنحدرات.

أما المهرجان الأخير (شاد بيه سير) فهو مهرجان رقص الصيد، يقوم القرويون باحتفاله خلال الموسم ما بعد الحصاد. يصطاد الصيادون أيّلا أو أيّلين بأقواسهم وسهامهم إيذانا باستهلال المهرجان، ويجوب البالغون الذكور من أهل القرية في موكب في عموم القرية وهم يحملون الأيل المصطاد على عمود. وجرت التقاليد على أن يُجاز الصيادون الذين يصيدون الصيد أولا.

مهرجانات قبائل غارو:

وانما رونجشوا:

إن قبيلة غارو تنقسم إلى قبائل فرعية عديدة، غير أن لغتها وثقافتها مشتركة. وهم يؤمنون بالإله الأعلى. إن مهرجان وانما رونجشوا (Wanma Rongchua)

بصفة أساسية مهرجان رقص يتم الاحتفال به تعبيرا للشكر للكائنات السماوية والإلاهات. يجري الرقص والغناء لفترة طويلة على ضربات الطبول، وهم يتعاطون خلالها بيرة الأرز تعاطيا مسرفا. إنهم يرقصون أيضا رقصة قبيلة كازي، فيجعلون خطين متوازيين للرجال والنساء، ويطلبون البركة من إلاهة غارو التي تدعى ميسي سالجونج (Misi Saljong) للمحاصيل الزراعية الجيدة.

مانجونا أو شوجانا:

إن مهرجان مانجونا (Mangona) أو شوجانا (Chugana) الذي يتعلق بموكب الجنازة، فهو على وشك الانقراض، وفي حاجة إلى من يحييها ثانية. يستهل هذا المهرجان ببناء كوخ صغير من الخيزران يسمى ديلانج (Delang) في صحن بيت المتوفى، وتوضع عظام الميت في وعاء فخاري. ثم توضع العظام وتغطى على عتبة البيت، وتقدم لحوم البقر والخنزير للزوار ليتناولوها. وأخيرا يرقص أبناء الجالية ويغنون طوال الليل لروح المتوفى. وتستخدم الآلات الموسيقية الوترية من أعواد القصب والقرن والبوق والخيزران للموسيقى.

مهرجانات قبيلة جاينتيا:

مهرجان بيهدين كالام:

يعتبر هذا المهرجان أكثر خطورة وتلونا بين المهرجانات الدينية لقبيلة جاينتا ينشدون بها العناية الإلهية للمحاصيل الزراعية الوفيرة إلى جانب الازدهار والصحة الجيدة لهم. وهم يحتفلون به بعد موسم الحصاد في شهر يوليو أو أغسطس بصفة خاصة. وهم يقيمون حدثا يسمى كنيا كانغ (Knia Khang) قبل شهر من الحدث الرئيسي يذبحون فيه الذبائح، وذلك بهدف إبعاد الشرور والمساوئ. ويرقص الناس، وبخاصة الرجال منهم، حول الأشجار، ولا تساهم فيه النساء، لأنهن يؤدين وظيفة أخرى، وهي تقديم طعام لحوم القرابين لأرواح آبائهم السابقين، ويسمى هذا الطقس (Ka Siang Ka Pha). يستغرق هذا المهرجان ثلاثة أيام كاملة. يقوم الناس في كل مكان بإنشاء هيكل على طراز منارة، ويقومون بتزيينه، ثم يغرقونه في وقت

رقصة بمناسبة مهرجان "وانغالا" في ميغالايا.

منظر لرقصة "لاهو" في ميغالايا.

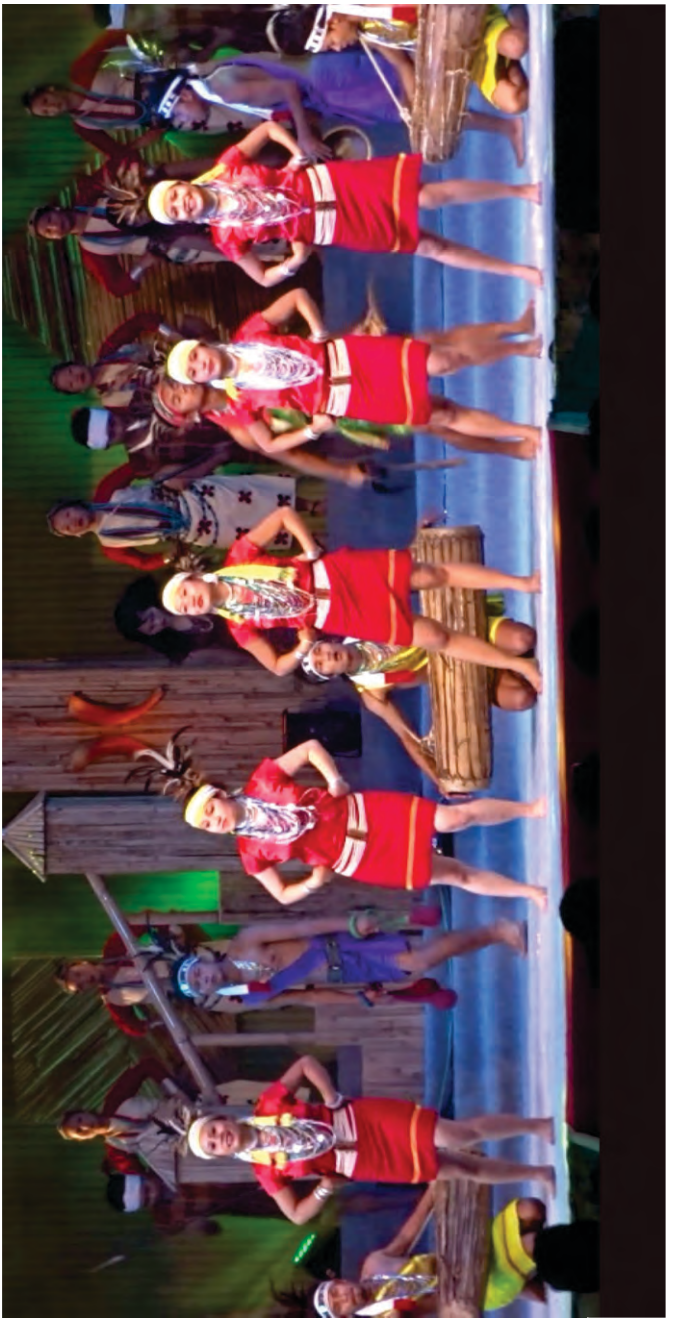

منظر آخر لرقصة "وانغالا" في ميغالايا.

Beh-dien-Khlam Festival

مشهد لمهرجان غارو في ميغالايا.

رقصة كهاسي في ميغالايا.

Culture of Meghalaya

لاحق في بركة. كما يلعبون أيضا خلال هذا المهرجان لعبة شبيهة بالسوكر بكرة خشبية، وتسمى هذه اللعبة داتلاواكور (datlawakor).

مهرجان رقصة لاهو:

إن مهرجان الرقص هذا يهدف الترفيه والترويح في المقام الأول، ويعرف أيضا برقصة شيبياه (Chipiah)، ويشترك فيها الرجال والنساء مع بعض بنشاط. وبصفة عامة إن قائد الهتافين، وهو رجل بصفة أساسية، يصحب برنامج الرقص، وهو يتلو مقاطع غنائية. يرتدي الراقصون كلهم ملابس ملونة نابضة بالحياة، ويرقص رجلان منهم على جانبي سيدة، وهما يمسكان أيدي بعضهما البعض.

تشاد سوكرا:

إن مهرجان تشاد سوكرا (Chad Sukra) هو مهرجان البذر السنوي الذي تحتفل به قبائل جاينتيا في شهر أبريل أو مايو كل عام، ويحتفلون به قبل بذر بذور الأرز متضرعين إلى الإله للمحاصيل الجيدة.

الأزياء والمجوهرات:

إن ملابس ميغالايا التقليدية تبدو جميلة جدا، وهي ذات تصاميم معقدة. إن نساجي ميغالايا يستخدمون ألوانا مركبة جميلة جدا بالإضافة إلى الزخارف والتصاميم. ولكل قبيلة من قبائل ميغالايا المختلفة ملابسهم ومجوهراتهم الخاصة. إن الرجال والنساء يرتدون ثيابا ملونة على حد سواء. إن أبناء قبيلة غارو موهوبون وذوو تجربة واسعة بين نساجي الولاية. والملابس تختلف من مكان إلى مكان أيضا. وبصفة عامة إن سكان المناخ الحار يرتدون ملابس فضفاضة.

ومن أزياء قبيلة كازي هي جينزيم (Jainsem) وتابموه كليه (Tapmohkhlieh). إن جينزيم ثوب فضفاض يصل إلى الكعبين، وتغطي بلوزة الجزء العلوي من الجسم. وفي بعض المناسبات الخاصة يستخدمون قطعة طويلة مصنوعة من حرير مونغا، وتدعى (Ka Jainsem Dhara) ليغطوا بها الجينزيم. كما يستخدمون أيضا شال الرأس أو (Tapmohkhlieh) ليغطوا به الرقبة.

وترتدي نساء قبيلة جاينتيا نفس اللباس الذي ترتديه نساء قبيلة كازي، ولكن بالإضافة إلى ذلك يرتدين أيضا كيرشاه (Kyrshah) وثوه كيروانج (Thoh Khyrwang) وداكماندا (Dakmanda). وخلال موسم الحصاد يستخدمن كيرشاه ليربطن به رءوسهن، وقد يرتدين أيضا ثوه كيروانج، وهو قطعة قماش ذات خطوط.

وتلبس نساء قبيلة غارو داكماندا وهو يبدو كالإزار، وفي قرى قبيلة غارو ترتدي النساء يكتنع وهو قطعة قماش قصيرة يربطنها حول خاصرتهن، ولكن في المناطق المزدحمة تلبس هؤلاء السيدات ملابس طويلة. إن داكماندا هو ثوب يصل طوله من 6 إلى 10 بوصات، وله حواش واسعة يتم تصميمه بأنماط الأزهار، ويبدو جذابا جدا.

أزياء الرجال:

المئزر هو اللباس التقليدي لرجال قبيلة غارو. وإن رجال قبيلة كازي أيضا يرتدون قطعة قماش طويلة غير مخيطة يلفونها حول خاصرتهم، وهي إلى حد ما شبيهة بثوب "دهوتي". وهم يلبسون دهوتي مصحوبا بالسترة والعمامة. وهناك أوجه تشابه بين لباس الذكور لقبائل جاينتيا وكازي.

المجوهرات:

إن القلادة تصنع من الذهب عيار 24 قيراطا، وتسمى "Kynjri Ksiar". وهذه المجوهرة مشتركة بين قبائل كازي وجاينتيا. وخلال موسم الأعياد إنهم يلبسون أيضا بايلا (Paila) حول أعناقهم. وهو يصنع من الحبات السميكة للمرجان الأحمر. وتستعمل نساء قبيلة غارو ريغيتوك (Rigitok)، وهو قلادة متكونة بشيء شبيه بقطع الزجاج الرقيق مترابط بعضها بالبعض بالخيط.

الفنون والحرف:

تملك ولاية ميغالايا ثقافة وتقاليد رائعة جدا. وإن قبائل ميغالايا لا يزالون يعيشون وفقا للطبيعة. وهي تلعب دورا هاما جدا في حياتهم. وهذا هو السبب في أن جميع فنونهم وحرفهم اليدوية لا تزال تصنع بالمنتجات الطبيعية.

وتعرف هذه الولاية لمنتجاتها الرائعة من الخيزران والقصب. وبسبب توافر الخيزران، إن فناني الولاية لهم مهارة خاصة في صناعة الخيزران ونسجه، ويتم إنشاء هذه المنتجات بشكل معقد جدا. وهي قد حظيت الآن بالاعتراف في السوق الدولية أيضا.

إن أبناء قبيلة كازي وغارو كلتيهما بارعون جدا في صنع منتجات الخيزران. وأبناء كازي بارعون في صنع السلال، ويستخدمون القصب والخيزران لصنع الآلات الموسيقية والأسلحة القبلية أيضا. يصنع أبناء كازي نوعا فريدا من حصيرة القصب تسمى (Tlieng)، ويمكن استخدامها لسنوات عديدة. وأبناء قبيلة غارو خبراء في نسج المواد التي يتم استخدامها في صنع زي "داكماندا".

وتتبنى قبائل ميغالايا الطرق التقليدية لعلاج الأمراض المختلفة. وفي بعض الأحيان لعلاج الأمراض العادية أيضا. والذين يقطنون منهم في المناطق الريفية يعتمدون إلى حد كبير على النباتات البرية والمنتجات النباتية للعيشة، وإن أسواقهم المحلية، (haat) مليئة بالخضروات والفواكه البرية.

استنتاج:

إن هذا المقال يقدم صورة شاملة لثقافات وتقاليد القبائل القاطنة في ولاية ميغالايا، وبصفة خاصة قبائل غارو وكازي وجاينتيا. كما أنه يعطي صورة نموذجية للهيكل الاجتماعي المميز لولاية ميغالايا. وهي في حاجة إلى أن يكون موضع تقدير واحترام. وهناك العديد من العادات الدينية وأيضا الأساطير التي ترتبط بالنباتات المقدسة التي تحافظ في نهاية المطاف على تنوعها البيولوجي. إن قبائل المنطقة لديها معرفة بالحفاظ على تراثهم البيئي الثقافي في موضعه الطبيعي. فيجب أن نحافظ على هذه المعرفة ونعتز بها.

إن النظام الزراعي المتحول الذي يجري ممارسته في الولاية منذ زمن سحيق مفيد جدا في تحسين خصوبة التربة. وبسبب موجة التغرُّب أخذت الأزياء التقليدية للولاية في التلاشي بصورة تدريجية. وفي هذه الأيام، إن الرجال مثل أندادهم في بقية

ربوع الهند، أخذوا يرتدون اللباس الغربي، ولكن النساء ما زلن يحافظن على الثياب التقليدية والعرقية. وإن تصاميم نسج الثياب التقليدية هي الأخرى أخذت تتراجع بصفة تدريجية. وإن الإضافات الجديدة غير البلدية أفقدت الأقمشة نقاء التصاميم الأصلية. إن الميل إلى التغرُّب قد سبب انتكاسا لصناعة الفنون والحرف أيضا، فمن الواجب أن يُحافظ على هذه الفنون والثقافة.

الهوامش:

[1]Jaiswal, Vidhan; Culture and ethnobotany of Jaintia tribal community of Meghalaya, Northeast India-A mini review. USIP,Philadelphia, USA .2008.

[2] ميغالايا: أكثر الأمكنة مطرا على وجه الأرض
http://www.theatlantic.com/photo/2014/08/meghalaya-the-wettest-place-on-earth/100797/#

[3]http://www.theshillongtimes.com/2015/09/18/muslim-population-up-hindus-dip/
The Shilong Times, Sep 18,2015.

[4]Meghalaya Data Higlights: The Scheduled Tribes Census of India 2001
http://censusindia.gov.in/Tables_Published/SCST/dh_st_meghalaya.pdf

[5]Jaiswal, Vidhan; Culture and Ethnobotany of Jaintia Tribal Community of Meghalaya, Northeast India-A Mini Review. USIP, Philadelphia, USA .2008.

[6]Thompson, Delia, ed.. The Concise Oxford Dictionary, Delhi: Oxford University Press, 1996. p. 841.

[7]Mann, R.S.Aspect of India Social Anthropology, Delhi: Concept Publishing Company.196.p-43.

[8] نفس المصدر

[9] ديفيد روي كاتب شهير من أبناء قبيلة كازي، وقد ألف كتبا عديدة حول كازي.

[10] عن ولاية ميغالايا انظر البوابة الرئيسية الرسمية لحكومة ولاية ميغالايا
http://meghalaya.gov.in:8080/megportal/stateprofile,(last visited August 29, 2016).

[11] اقرأ عن أساليب الطبخ والطهوالمتميزة لولاية ميغالايا
https://en.wikipedia.org/wiki/Cuisine_of_Meghalaya

قراءة في كتاب:

"تاريخ حضارة الهند"

تأليف: محمد مجيب

ترجمة: أ. د. محمد نعمان خان*

مراجعة: أ. د. زبير أحمد الفاروقي**

عرض: أ. د. حبيب الله خان***

{يعرّفّ المؤلف عبر صفحات هذا الكتاب عدداً من الحضارات الهندية التي سادت وبادت، وكان المؤلف ناجحاً إلى أقصى حدٍّ في نقل صورة متكاملة لها للقارئ، جاعلاً إيّاه يشعر وكأنه يتجوّل معه في دهاليز الحضارات القديمة. صدر مؤخراً عن مؤسّسة الفكر العربي، ببيروت كتاب "تاريخ حضارة الهند"، الذي يُقدّم معلومات تفصيلية وبدقة متناهية عن الحضارات التي نشأت وراجت وسادت على أرض شبه القارة الهندية، ولعبت دوراً بارزاً في تنوير المجتمع البشري. يضمّ هذا الكتاب بين دفّتيه 399 صفحةً متوسطة القطع، ويتوزّع على ثمانية أبواب ومدخلٍ ومقدمةٍ من المؤلّف والمترجم على وجه الترتيب. يبدأ الكتاب بمدخلٍ ضافٍ ينبسط على 15 صفحة، ناقش فيه المؤلف القضايا الأساسيّة التي ارتآها ضرورية لفهم الحضارة وأبعادها قبل الخوض في تفاصيلها، ومنها على سبيل المثال تعريف الحضارة وقيمها الداخلية والخارجية، ودور الفنون الجميلة بما فيها التصوير والنحت والشعر والمسرحية، وغيرها من الفنون التي تعّبر عن الحياة وجماليّاتها، في تنمية الحضارات، وما إلى ذلك}.

ويبدأ الباب الأول من الكتاب ببداية الحضارة ويناقش ضمناً علم الإنسان والآثار ووجود آثار العهد الحجري في الهند، ثم يعرّج على دراسة الأعراق الهندية

---

* رئيس قسم اللغة العربية سابقا، جامعة دلهي، دلهي، الهند.

** الأستاذ ورئيس قسم اللغة العربية سابقا، الجامعة الملية الإسلامية. نيودلهي

*** أستاذ اللغة العربية، قسم اللغة العربية، الجامعة الملية الإسلامية.

وحضارة "موهانجودارو" و"هاربا" التي استغرق تطوّرها حوالي ألف عام، أي أنها بدأت في حوالى عام 4250 ق.م[1]. ووصلت إلى أوجها في عام 3250 ق.م. قبل أن تندثر في حوالي عام2750 ق.م. أي أنها عاشت حوالى خمس مائة عام وتفاعلت مع الحضارات الأخرى التي نشأت في العراق ومصر آنذاك، وكذلك نجد فيه مع تفاصيل الحضارة وميزاتها ومعتقداتها وأنماط حياة أبنائها وما إلى ذلك.

ويتناول الباب الثاني حضارة الآريّين، التي تنقسم عادةً إلى العهدين : العهد الأول من عام 1200 ق.م إلى عام 800 ق.م. وهي فترة الفيدات، والعهد الثاني من عام 800 ق.م. إلى عام 600 ق.م. وهي فترة البراهمة، وفي أواخرها تم تأليف "الأوبانيشادات" التي كان لها تأثير كبير في عقائد بوذا. وفي القرن السادس أو السابع ق.م. بدأ عهد " السوترات" ومن ذكريات أواخر هذا العهد الملحمتان الشهيرتان : "المهابهارتا" و "الرامايانا"[2]. وكذلك يحتوي هذا الباب على تفاصيل الفيدات الثلاثة : الريغفيدا والياجورفيدا والآثارفافيدا، فضلاً عن النظام الاجتماعي والحياة المنزلية ونظام الطبقيّة والتصورات والمعتقدات عند الآريّين.

وأما الباب الثالث فهو يناقش ظهور الديانات الجديدة في الهند، منها "الفايشنافيّة" التي أسّسها "فاسوديفاكريشنا" الذي سبق عهد بوذا بحوالي مائتي سنة، و"البوذية" التي أسّسها "غوتاما بودّها" المعروف بـ "بوذا"، والجاينية التي أسّسها "فاردهامانا مهافيرا"، ولم تكن هذه الظاهرة مقصورة على الهند فحسب، وإنّما كانت منتشرة في الأصقاع الأخرى من العالم أيضاً. يركّز هذا الباب بشكل أساسي على حضارة الهند الشرقية ومؤسّس الديانة الجاينية وتعاليمها، ومؤسّس الديانة البوذية وتعاليمها مثل الوسطية والعقلانية والعطف الإنساني والمساواة وما إلى ذلك.

ويُعدّ عهد الإمبراطورية الماوريّة (Mauriya) عهداً ذهبياً في تاريخ الهند القديم، إذ أنه حقّق تقدماً كبيراً في جميع مجالات الحياة، ومهّد للهند الخروج من الطور القبلي إلى الطور المدني، وأخضع البلاد كلّها ماعدا جزء صغير منها في

---

[1] *تاريخ حضارة الهند ، ترجمة: محمّد نعمان خان، ، (بيروت : مؤسسة الفكر العربي، 2016) ص 47*

[2]– *تاريخ حضارة الهند ، ترجمة: محمّد نعمان خان، ، (بيروت : مؤسسة الفكر العربي، 2016) ص 66*

الجنوب لنظام حكومي واحد بقيادة الإمبرطور"أشوكا" الذي اعتلى عرش الحكم عام 274 ق.م. وقاد حملة كبيرة وعقد اجتماعات عديدة لنشر البوذية في ربوع البلاد، نجد هذه التفاصيل في الباب الرابع من الكتاب، كما يحتوي هذا الباب على مقارنة بين الكتابين "دهارماشاسترا" و "دهارما سوترات" والميزات الأربعة لكتاب "أرثاشاسترا" الذي يُعدّ بمثابة خزينةٍ للمعلومات، وفيه طرقٌ للحكم ونصائح للملك، ويدلّ على ازدهار العلوم مثل علم المعادن وعلم النبات والكيمياء، وتفاصيل مراسيم الإمبراطور أشوكا الشهيرة، والنظام الاجتماعي الذي كان يتكوّن من سبع طبقات، وهي طبقات الفلاسفة والمزارعين والصيّادين والرعاة والحرفيّين والجنود والمراقبين، ثم الميزات الاجتماعية ومنها الحياة العائلية بكل تفاصيلها، والصناعة والتجارة والقراءة والكتابة وما إلى ذلك.

وبعد وفاة الإمبراطور أشوكا، ضعف الحكم المركزي، وبدأت الإمبراطورية الماوريّة تتفكّك، وتقوم على أنقاضها دويلات وممالك صغيرة في مختلف مناطق الهند، منها مملكة "ماغاده" و "كالينغا" و "الدّكن" و "براتهيستانا" وغيرها من الممالك التي بدأت يحارب بعضها البعض، ولكنّ الفنون الجميلة، ولاسيّما النحت الذي نال تشجيعاً كبيراً لدى الإمبراطور أشوكا استمرّ في نموه وازدهاره بفضل اهتمام البوذيين في صنع الرموز الدينية التي نالت زيارتها رواجاً سريعاً بعد وفاة "بوذا"، واشتهرت الرواية بأن هناك أربعة أماكن أمر بوذا نفسه بزيارتها، أولها حديقة لومبني التي وُلد فيها"بوذا"، والثاني الشجرة التي تقع قرب مدينة غايا في ولاية بيهار، والتي تلقى بوذا تحتها المعرفة التامة، والثالث حديقة الغزلان في باناراس التي ألقى فيها خطبته الأولى حول البوذية، والرابع مدينة كوسي ناغار أو كوسينارا التي تُوفي فيها "بوذا"، وإضافة إلى ذلك تطور الفنون الجميلة، وتأثير البوذية في الفنون الجميلة خاصةً إنشاء المباني والمرافق الدينية والإستوبات أي المعابد البوذية والكهوف للنسّاك والرهبان، وصنع الأصنام والنقوش وتأثّرها بالفن والتصميم الإيراني واليوناني يُشكّل موضوعاً رئيسياً للباب الخامس من الكتاب.

وفي تاريخ الهند القديم توجد ثغرة زمنية بين انفكاك إمبراطورية أشوكا وقيام إمبراطورية غوبتا، لم يتمكّن المؤرخون من سدّها بشكل مقنعٍ جراء عدم عثورهم على مواد تلقي الضوء على هذه الفترة الزمنية، غير أنّنا ما نعرفه هو أن إمبراطورية غوبتا تطورت من النظام الإقطاعي الفيدرالي عام 320م، على يد الإمبراطور تشاندرا غوبتا، ثم جاء نجله سامودراغوبتا الذي حكم من عام 325م إلى عام 375م، ومن أبرز ملوك هذه السلالة "راماغوبتا" و"كوماراغوبتا" و"فيكارامادیتيا" وغيرهم، وبلغت هذه الإمبراطورية أوجها في القرن الرابع والخامس الميلادي، وقامت برعاية العلوم والحرف والصناعة وأقامت علاقات تجارية مع "ملايو" و "سومطرة، و "جاوا" و "الصين" وغيرها من البلاد المجاورة، وشهدت ازدهار الديانة الهندوسية بعد سيطرة البوذية لعدة قرون من الزمن، ومن أبرز ميزات هذا العصر تدوين وترتيب العلوم إلى ثلاثة أقسام : الديانة "دهارما"، والشؤون الدنيوية "آرثا"، وشؤون الرغبة الجنسية "كاما"[3]، والأدب الكافيائي الذي يشمل النثر والنظم كليهما، وفيما يتعلق بالنثر فهناك عدة كتب اشتهرت في القصة والمسرحية مثل "بانتشاتانترا" و"الجاتاكات" و"راجافيسانتارا" و"شاكونتالا" إلخ.. وفي الشعر"ميغهادوتا" و"ريتوسامهارا" لكاليداس" نجد مثل هذه المعلومات المثيرة بأدق تفاصيلها في الباب السادس، فضلاً عن عدد لابأس به من الأساطير التي تدور حول الإله فيشنو ومظاهره المختلفة التي وردت في الكتب الهندوسية المقدسة مثل "رامايانا" و"مهابهاراتا" و"بهاغافادغيتا" و"البورانات" و"الأوبانيشادات" وغيرها من الكتب.

قضت الهجمات الهونيّة على إمبراطورية غوبتا في أواسط القرن الخامس الميلادي، ثم لا نعرف ما حدث بعد ذلك إلى أن زار العالم الصيني"تشيونتسانغ" الهند في بداية القرن السابع، ودوّن مشاهداته وملاحظاته بالتفصيل، والتي غدت في ما بعد مصدراً موثوقاً به لتاريخ الهند، وهذا ما نجده في الباب السابع من الكتاب الذي يعتمد كليّاً على ما رآه وذكره العالمان السائحان "تشيونتسانغ" في القرن السابع،

[3] *تاريخ حضارة الهند، ترجمة: محمّد نعمان خان، (بيروت : مؤسسة الفكر العربي، 2016) ص 241*

مؤسسة الفكر العربي
ARAB THOUGHT FOUNDATION
حضارة واحدة
سلسلة كتب مترجمة تصدرها
مؤسسة الفكر العربي
تاريخ حضارة الهند
محمد مجيب
ترجمة: أ. د. محمد نعمان خان
مراجعة: أ. د. زبير أحمد الفاروقي

و"أبو الريحان البيروني" في القرن العاشر. يُفرد هذا الباب حيّزاً كبيراً لمشاهدات "تشيونتسانغ" الذي سجّل كلّ ما شاهده من أساليب الحياة الهندية من طرق السكن والأكل واللبس، وبناء الطرق والجسور والمعابد الهندوسية والبوذية والجاينية، ونحت التماثيل المختلفة وطرق التعليم الديني والدنيوي وشيوع الفلسفات منها الفلسفة الهندية والفلسفة السانخية واليوغا والفلسفة البوذية والفلسفة الجاينية، وعلم الفلك وعلم التنجيم وعلم الرياضيات والطب وتقول الروايات إنه كان لعلم الآيورفيدا ثمانية أقسام : الجراحة الكبيرة والجراحة الصغيرة وعلاج الأمراض وعلم الأرواح الخبيثة وأمراض الأطفال والسميات والإكسيرات والمنشّطات الجنسية، وفي الأخير نجد ذكر أبي الريحان البيروني وكتابه الشهير"كتاب الهند" باقتضاب شديد في هذا الباب السابع.

ومن الناحية الجغرافية تنقسم الهند إلى الجزئين: الجزء الشمالي والجزء الجنوبي، وتقع بينهما سلسلةٌ من الجبال والغابات، ومع أن هذه السلسلة لا تُعتبر حدّاً يفصل بينهما ثقافياً وحضارياً، ولكن معرفتنا بالتاريخ القديم لجنوب الهند محدودة جداً، ولا نعرف أية حضارة كانت قائمةً فيها أيام الحضارة السندية، وكلّ ما نعرفه من تاريخ جنوب الهند يرجع إلى القرن الثاني للميلاد، الذي بدأ فيه انتشار الديانة البوذية، ومن مصادر تاريخها الأولية المباني والكهوف والعملات واللوحات التي تخصّ الأوقاف والآراضي المعفاة من الضريبة وما إلى ذلك، يزخر الباب الثامن والأخير من الكتاب بمثل هذه المعلومات وغيرها من الأمور التي تخصّ بحضارة جنوب الهند ومنها الحقبة السانغاميّة والمؤسسات السياسية والأبنية والكهوف البوذية وغيرها من المعالم .

وفيما يتعلق بكتاب "تاريخ حضارة الهند" فهو ترجمة عربية دقيقة وأمينة لكتاب "تاريخ تمدّن هند" باللغة الأردوية لمؤلّفه الشهير البروفيسور محمد مجيب (1902-1985)، الذي درّس التاريخ في الجامعة الملّية الإسلامية، وتولّى إدارتها من عام 1948م إلى تقاعده في عام 1973م، ويُعدّ من أساطين علم التاريخ في الهند، ويمتاز بتخصّصه وتعمّقه في دراسة الحضارة الهندية، التي وضع فيها عدة كتبٍ منها "دنيا كي كهاني" و "المسلمون الهنود" وغيرهما من الكتب المهمّة التي لايتّسع

المجال هنا لذكرها. لقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام 1972م، ضمن المشروع الحكومي الهادف إلى وضع وترجمة ونشر الكتب باللغة الأردوية، الذي تولّى مسؤوليته مجلس ترويج اللغة الأردوية، التابع لوزارة التربية والتعليم، حكومة الهند، لغرض ترويج الثقافة والعلوم بين المتحدثين باللغة الأردوية[4].

وفي هذا العصر الذي يتّسم بانفجار المعرفة، قامت مؤسّسة الفكر العربي التي تتّخذ من بيروت مقرّاً لها، باختيار هذا الكتاب لترجمته إلى العربية، وهو الكتاب الثالث عن الهند، الذي تقدّمه المؤسّسة إلى القارئ العربي، في إطار سلسلة كتب "حضارة واحدة" والتي تُعنى بترجمة كنوز الفكر العالمي إلى اللغة العربية، بعد كتاب "العلاقات العربية الهندية" و "كتاب أثر الإسلام في الثقافة الهندية" ليعمّق معرفة القارئ العربي بالحضارة الهندية بجوانبها كافةً[5]، فاستعانت المؤسّسة في ترجمة هذا الكتاب من خير مترجم وهو البروفيسور محمد نعمان خان، الذي يدرّس اللغة العربية وآدابها في جامعة دلهي الشهيرة، ويُولع بالثقافة والحضارة والتاريخ، والرئيس الأسبق لقسم اللغة العربية بجامعة دلهي، ثم أوكلت مهمّة المراجعة اللغوية إلى نِعمَ المراجع البروفيسور زبير أحمد الفاروقي، المشهود ببراعته في فن الترجمة، وأستاذ الأدب العربي، والرئيس الأسبق لقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملّية الإسلامية، ورئيس تحرير مجلة "ثقافة الهند" سابقا، فخرجت الترجمة في أسلوب جيّد جذّاب. وممّا لا شكّ فيه أن هذا الكتاب مفيد ومليء بالمعلومات التاريخية، عرّفَ المؤلف عبر صفحاته عدداً من الحضارات الهندية التي سادت وبادت، وكان المؤلف ناجحاً إلى أقصى حدٍّ في نقل صورة لها متكاملة للقارئ، جاعلاً إيّاه يشعر وكأنه يتجول مع المؤلّف في دهاليز الحضارات القديمة. ولولم تكن الترجمة العربية لهذا الكتاب لما سنح لكثيرٍ من القرّاء العرب الإطلاع عليها، فالفضل يرجع فيها إلى مؤسسة الفكر العربي التي تحاول جاهدةً إلى تعميق معرفة القارئ العربي بالحضارات القديمة المختلفة.

---

[4] *نورالحسن، وزير التعليم، حكومة الهند، (نيو دلهي : ناشونال بوك تروست،1972) تصدير الكتاب*

[5] *تاريخ حضارة الهند، ترجمة: محمد نعمان خان، (بيروت : مؤسسة الفكر العربي، 2016) ص غلاف الكتاب*

قصة قصيرة مترجمة

زائرو الليل

أ. د. إبن كنول*

ترجمة: د. أحمد محمد أحمد**

ليلٌ حالكٌ كالقبر، تُدثره جلابيبُ السكينة التي تبعث في الفضاء إحساسا غاية الروعة. تستريح في أحضانه الوادعة أبدانٌ منهكة، ثملةٌ بسكرة السبات العميق. وإذا بحمرة أشبه بحمرة الشفق تنتشر في الأرجاء، وتدنو الأنوار في غوغاء تتدافع كأمواج عاتية، تَهبُّ منها عاصفة هوجاء، تقترب...وتقترب فما هي إلا مشاعل تتلظى. اكتنفت هذه الغوغاء سماء القرية، وأرسلت نيرانها الملتهبة فوق سطوح منازلها وسط هتافات رهيبة:

–اقتلوهم.....لاينجونّ أحد....خلّوا....اهربوا....الأرضُ أرضُنا.... ولا يسكنها إلا نحن....ارحلوا عن أرضنا .

أزكت الهتافات المشاعل لهباً، فبدتْ في لحظة تناطح السماء. اندفع النائمون خارج بيوتهم المضطرمة يحتمون من الغارة الليلية المفاجئة، فاستقبلتهم سهام اخترقت أجسادهم.

تأوه الفضاء بأنّات الرجال، واستغاثات النساء الكئيبة، وصرخات الأطفال المتوحشة. وفي طرفة عين، باتت القرية كومة من رماد، وشرراً متطايراً، وبدتْ كمحرقة عظمى أُحرقت فيها أجساد الأحياء. وما أن تثبت المهاجمون أنه لم يبق في المنازل المحترقة أحد لا يرتفع صوته إلا بأصوات النشيج والأنَّات، احتجبوا كما تحتجب النجوم عند مطلع الصبح.

---

* القصة للكاتب ابن كنول، رئيس قسم اللغة الأردية بكلية الآداب، جامعة دلهي بالهند، له العديد من المؤلفات، كما حصل على العديد من الجوائز الأدبية في مجال النقد والقصة.

** أستاذ كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة

أقبلت الشمس بوجهها المشرق، ونشرت حمرتها الدامية على أطلال القرية. فبرز مَنْ سَلِمَ من إغارة الليل من مخبئهم ليكحلوا أعينهم برماد منازلهم، ورؤية جثث ذويهم في ضوء النهار. لم ينجُ منهم إلا القليل، اجتمعوا بائسين مخذولين، يستجمعون هممهم المتكسرة، فسألهم زيد:

– أيعرف أحدكم أين بيتي وأولادي؟

– هل فقدتَ بصرك ؟!

– آه..أجل! ذهب بنور عيني وَهجُ المشاعل ليلة البارحة.

– يا ليتني فقدتُ أنا الآخر بصري.

تأسف حارث متألما.

– ما هذا الحديثُ يا حارث؟!فالبصر من نعم الله.

تحسر زيد على حرمانه.

– ما أسعدك يا زيد أنك لا ترى!...وما أشقاني ببصري

– وماذا ترى يا حارث؟

– هل تحتمل أن تسمع؟

– آه...لم يبقَ لي سوى حاسة السمع...فاحكِ لي ما ترى.

– أرى بيتي قد استحال كومة رماد.. وما زال الدخان ينبعث منه.... أرى النيران قد التهمت أجساد أبي وأمي وزوجي....وأرى أولادي قد خضبتهم الدماء.

– ألهمك الله صبراً.

– وهل بقي إلا الصبر؟.

– ألا يمكنك أن تخبرني عن بيتي وأهلي..

– أخبرك عن أي بيت، وعن أي أهل يا زيد؟....فلا بيت هنا، ولا أهل....

– ألم يبق شيء؟

– بلى...بقي كل شيء... كل شيء نصب أعيننا.... لم تنثر الريح بعدُ رماد البيوت.... ومازالت جثث الضحايا بين أيدينا... من سيشيعهم؟.... ومن

سيدفنهم؟... من عليهم فعل ذلك باتوا رفاتا وعظاما. تنهش لحومهم الوحوش، وها هي ذي بدأت بالوفود...

– كل هذا أمام ناظريك ؟!

غَضبَ زيد:

– وماذا بوسعي أن أفعل؟

– أبعدها عن الجثث...

– أترانا أحياءً يا زيد!...كلا! لقد فارقتنا أرواحنا جميعا.... نحمل نصف أجسادنا.... وينقصنا النصف الآخر بعد أن فقدناه البارحة.

– أنا آسف يا حارث! غضبتُ عليك.

يشعر زيد بالأسف والندم:

– لا داعي للأسف... لا سبيل إلى تهدئتنا إلا بمواساة بعضنا الآخر.

سكت زيد ولم يعد إلى السؤال.

صمت الجميع وكأن على رؤوسهم الطير. ولسان حالهم يقول : ماذا عسانا أن نفعل في ذلك الموقف، وهم على هذه الحال إذ نهض شاب ثائرٌ يصيح:

– علينا أن نثأر منهم.

– وهل تستطيعون الثأر وعددكم لا يتجاوز السبعين؟!

اعترض مؤنس أكبرهم سناً:

– فماذا عسانا أن نفعل إذن؟

صاحوا في صوت واحد، كانوا يشعرون بالضعف والعجز، ولم يجدوا في أنفسهم فكراً ولا رأياً، وقد جَمُدَت عقولهم، وسُلِبَتْ أفكارهم:

– فلنذهب إلى القرى المجاورة ونقص عليهم مأساتنا. علَّنا نجد عندهم حلاً لمصاعبنا. ويهدونا إلى طريق الخلاص.

أجمعوا أمرهم، ولملموا شملهم، وراحوا يُودّعون منازلهم المحترقة، وجثثهم المخضبة بالدماء في أسىً وحسرة، ورحلوا عن القرية، حتى صادفتهم قافلة صغيرة، منهكة الحال، أضنتها الأهوال:

– كيف آل بكم الأمر إلى هذه الحال؟!

(سألهم مؤنس)

لم تكن حالهم منهم ببعيد؛ حيث عصفت بهم العاصفة نفسها، التي هبَّتْ عليهم تلك الليلة، فدمرت منازلهم، وأحرقت ذويهم، فتشاركوا الشجون، وتقاسموا الأحزان ....ولم يكن يسعهم غير ذلك. وما لبثوا أن لحقت بهم قافلة أخرى.... وثالثة.... ورابعة.... وخامسة....

كلهم راحلون عن القرى التي تحولت إلى أطلال وحطام، كلهم فَزِعون من الجثث المنتشرة في ركام ...

كلهم يعانون نفس المعاناة ..... كلهم يعيشون ذات المأساة، فماذا عساهم يفعلون، وكيف أمرهم يتدبرون؟! ..... تحثهم ثورة الشباب وحميّتهم على الثأر والانتقام... وكبار السن يؤثرون الأمن والسلام إشفاقاً على الأطفال والنساء، إذ أن أي تهور قد يفضي إلى الموت والفناء.

وبعد طول تفكير، وعظيم تدبير قرروا العودة إلى بلادهم، واسترداد منازلهم. فاستقبلوها يحدوهم الأمل، وفي نيتهم صادق العمل، ولمَّا بلغوا الحدود استوقفهم الجنود:

– لا يحق لكم أن تدخلوا هذه البلاد... فلم تعد بلادكم.

– أين لنا أن نذهب إذن؟ وقد لفظنا ذاك البلد الذي لجأنا إليه، ولذنا بأهله، بل أحرقوا منازلنا، وسفكوا دم إخواننا بلا رحمة منهم أو شفقة.

– لا يهمّنا أين تذهبون، ولا يعنينا ماذا تفعلون؟ فقط ... أبواب بلادنا مغلقة أمامكم...اذهبوا حيثما شئتم، فأرض الله واسعة.

– ولكن العالم لا يقبلنا، لأننا ننتمي إلى بلادكم.

– لم يَعد لكم صلة بهذه البلاد... ارحلوا عنا... عودوا حيث شئتم..... فأمواج البحر تسع القوافل، مهما كبرت.

طردهم حرس الحدود. فعادوا أدراجهم. وباتوا يتنقلون في صحراوات. ويلتجئون إلى جبال وغابات. ولكن الذين أحرقوا بيوتهم، لم يتركوهم لشأنهم، وكانوا لهم بالمرصاد يحاربونهم، ويطاردونهم هنا وهناك حتى تناقص عددهم، وزاد يأسهم وشرعوا يفكرون فيما قاله لهم حرس الحدود فأسلموا أنفسهم إلى أمواج البحر الثائرة، واستقبلوا شاطئ البحر ليغسلوا بمياهه بؤسهم، ويتخلصوا من شقائهم .

ساروا نحو البحر....اقتربوا....واقتربوا....شعروا بالخوف منه، إلا أن خوفهم من محنتهم أشد، فهمّوا بإلقاء أنفسهم في البحر، فاستوقفهم صوت من خلفهم:

– تمهلوا أيها الجبناء! ألا تعرفون أن الانتحار حرام؟

التفتوا، فإذا بشيخٍ ذي لحية بيضاء.

– ومَنْ لا يعرف ذلك؟... ولكن ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وقطعت السماء صلتها بنا..... ذابت قلوبنا كمداً لاحتراق جثث ذوينا وأهلينا، واقشعرَّت جلودنا هلعا لمشهد الدماء الفوارة من أعناق أطفالنا الأبرياء، ولم ترحمهم السماء، ولم يرقْ لحالهم قلب الإله. تمزقت حناجرنا باستغاثات السماء، فأمطرتنا جمراً ملتهباً. فلماذا علينا الآن أن نمتثل لأوامرها إذن ؟ أليس الله عليماً بأحوالنا التعسة؟!

– أحاط كل شيء علماً. وهو أرسلني إليكم لأهديكم وأدلكم على الصراط السوي.

– كلا. لم نعد في حاجة إلى توجيه وهداية.

– أين كنت حينما كانت النيران تبتلع نساءنا وأولادنا؟، أين كنت عندما خرقت صرخاتهم حُجبَ السماء؟ هل رأيت أولادك فلذات أكبادك تتفحم أمام عينيك؟ هل تجرعت مرارة هذا المشهد الذي هو أشد إيلاما من الاحتراق بنار جهنم؟ أولى بك أن تتنحى عن طريقنا، وإلا لقيت منا ما لا تطيق.

(كانوا يرتجفون غيظاً).

– أنتم منفعلون، ولا تدركون عواقب فعلكم.

– أجل. يتملكنا الغيظ، ولانريد أن نعرف العواقب.

– إنكم لا تفهمون.... أتريدون أن يُحرق المزيد من القرى بعدكم؟ وأن يقدم أهلها مثلكم على الانتحار؟... ثم تتكرر الأحداث.

– ماذا تريد منا بالتحديد، لماذا يمنعنا الإله من أفعالنا؟ وهو الذي لم يستجب لدعواتنا

(قالوا وقد امتزج غيظهم بالتبرم).

– بسط الله لكم الأرض فتقاسمتموها فيما بينكم قطعاً. وعثتم فيها شراً وفساداً. وأرقتم عليها الدماء. ومع ذلك كله، تأملون أن يمدكم بنصره؟ مكّنكم الله في أرضه. فلماذا تحتاجون الآن إلى نصرته؟

– ننتهز التمكين نفسه للانتحار.

– ولكن الانتحار هروب من واقع الحياة. والهروب من الحياة دليل الجبن وضعف الإرادة. أأنتم جبناء؟!

(استفسرهم الشيخ).

– كلا. إلا أننا عاجزون.

– العجز نقص في الشجاعة والإقدام، تسلحوا بالجرأة، وتقدموا بشجاعة للمطالبة بحقوقكم. فالأرض لكم جميعاً.

– ولكن عددنا قليل، ولا حليف لنا ولا نصير.

– عددكم يزيد عن ثلاثمائة وثلاثة عشر. هل سمعتم بماحققه هذا العدد من فتح مبين ؟، وليس لهم حليف ولا نصير.

طأطأوا رؤوسهم ندماً. ولمّا رفعوها، كان الشيخ قد التهمه الخلاء. إلا أن وجوههم الشاحبة قد عادت إليها الحياة وسرت فيها دماء الحماس. نظر بعضهم إلى بعض، وأخذوا على أنفسهم عهداً:

– تعالوا نرفع بيوتاً جديدة بدلاً من بيوتنا المحترقة. ونحارب كل من قسّموا الأرض قطعا فالأرض لنا جميعا.

وبهذه العزيمة، عادوا إلى قريتهم.

*****

قصة قصيرة مترجمة

عـودة السيد الصغيـر

رابندرنات طاغور *

ترجمة: د. محمود عالم الصديقي **

عندما قدِمَ "راي تشارن" إلى البيت للعمل في المرة الأولى، كان عمره ثماني سنوات. كان من قضاء "جيسسور". كان له شعر طويل وعينان كبيرتان. وهو ولد نحيل ببشرة سوداء لامعة. وكان ينتمي إلى نفس الطبقة التي كان ينتمي إليها موَظِّفوه. وهي طبقة مسماة بـ " "كيستهاس". فكُلِّف بمهمة رعاية طفلهم ذي سنة

---

* يعتبررابندرنات طاغور (1861– 1941) أديبا موسوعي المعرفة. ولد في أسرة متعلمة شهيرة في قرية إسمها "Jorasanko" الواقعة بمدينة كلكتا في الهند. و شق طريقه من حضن الأم إلى المدرسة، من المدرسة إلى الكلية ومن الكلية إلى الجامعة. ومازال يترقى حتى بزغت شمسه في عالم الأدب. وتناول جميع الفنون الأدبية من الشعر والغناء والأدب القصصي بجميع أنواعه من المسرحية والرواية والقصص القصيرة. وقد أجاد في جميعها. فأقبل عليها العلماء والأدباء بالقراءة والنقد حتى اعترف العالم بعبقريته الأدبية الساميه، ومنحه جائزة نوبل الدولية تقديرا لأعماله السامية. وإن أكثر أعماله الأدبية قد نقل إلى مختلف لغات العالم بما فيها اللغة العربية. ولكن قصصه القصيرة لم تنل حصتها الوافية في هذا المجال. بالرغم عن هذه الحقيقة أن قصصه القصيرة نقلت إلى اللغات العالمية الأخرى ونالت إقبالا عظيما في الأوساط الأدبية والعلمية. ومن أحسن قصصه القصيرة: "عودة السيد الصغير". وهذه القصة تدور حول رجل فقير إسمه "راي تشارن".وقد توظف كخادم في أسرة منذ كان ولدا لإثنتي عشرة سنة. وقد كُلِّف بهمة الرعاية لطفل موظِّفيه. وعندما كبر الطفل تربع على منصِب القاضي الإقليمي. ثم وُلِدَ طفلٌ لهذا القاضي. فعُهِدَ إلى "راي تشارن" بمهمة رعاية هذا الطفل الجديد أيضا. ===

** الأستاذ المساعد: حرم كارغل،جامعة كاشمير، كارغل، لداخ، جامو وكشمير، الهند.

واحدة. ومع مرور الأيام شق الطفل طريقه من حِضْن "راي تشارن" إلى المدرسة، ومن المدرسة إلى الكلية، وارتقى من الكلية إلى الخدمة القضائية واحتل منصب القاضي في محكمة إقليمية. وظل "راي تشارن" خادمه الوحيد حتى تزوج.

ولكن عندما جاءت ربة للبيت إلى البيت وجد "راي تشارن" أمامه "سيدين" من رب البيت وربة البيت عوضا عن الواحد. وانتقلت واجباته السابقة منه إلى السيدة الجديدة. فقلَّت مسؤولياته السابقة في حضورها. ولكن تم استبدال هذه الواجبات بواجب جديد، وهذا الواجب كان أكبر من واجباته السابقة. فُولِدَ ابن للسيد "أنوكول"

=== ولكن لسوء الحظ أن الطفل يموت غرقا في مياه الفيضان. ولكن أم الطفل تشك في "راءي تشارن" وتعتقد بأنه سرق ابنه. وتطرده من البيت. فيعود "راي تشارن" إلى منزله في القرية حيث تلد زوجته الطاعنة في السن طفلا له. وتموت إثر ولادته. ففي بداية الأمر أن "راي تشارن" ينفِرُمن الطفل معتبرا نفسه مسؤولا عن موت ابن سيده. فكيف يجوز له أن يفرح في ابنه الحقيقي بعد ما تسبب في موت ابن سيده. ولكن على مر الأيام لاحظ في إبنه ملامح ابن سيده وعاداته. فيعتقد أن ابن السيد وُلِد من جديد في بيته لأنه لا يستطيع أن يعيش بدون حبه. فيتعهد بنفسه أن لا ينال الطفل منه إلا الخير. فيوفرله "راي تشارن" حياة مترفة مع التوفيرله جودة التعليم بعد بيع قطعة من أرضه. ويقتِّر على نفسه. ويتظاهر أنه خادم له. ويعامله معاملة مزيجة بشفقة الأب وطاعة الخادم لسيده. على هذا المنوال مرت الزمن حتى شبَّ الطفل، وهرِم "راي تشارن" ونفدت أمواله. فبدأ ابنه يشكو إليه من قلة الأموال وعدم متناول الحياة المترفة. فيوما يذهب به إلى سيده السابق المسمى بـ " أنوكول" ويقول له: "أنا ذلك الذي سرق إبنك. وههنا ابنك. ولدى رؤية الشاب الجميل المظهر والمتين البنيان والأجمل الملبس يفيض قلب سيده السابق" أنوكول" بالحب، ويقتنع بأن الشاب هو ابنه الحقيقي. وكذلك الشاب يعتقد أن القاضي هو أبوه الحقيقي، وقد سرقه منه خادمه "راي تشارن". يترك "راي تشارن" ابنه الشاب عند سيده القاضي. ويخرج من بيته ملقيا على ابنه النظرة الأخيرة الممتلئة حبا وحسرة. ويغيب في زحام الدنيا. فلا يعثر أحد على أثره بعد. فالقصة ممتعة للغاية تثير المشاعر الإنسانية و تهز القلوب و تجسم عيوب الفقر، وتُحسِن تصوير الطبيعة من الأنهار وفيضانها الطاغي الذي التهم طفلا يواجه عاقبته رجل فقير سامي الخلق. كذلك تُحسِن القصة تصوير الطبيعة الإنسانية في خلجاتها السارة والكئيبة. وفوق ذلك كله إنها تصف الحياة الريفية والحياة المدنية الهندية مع توحيه المجتمع الإنساني إلى وجهتها الصحيحة. وإليكم القصة الآن.

وسيطر "راي تشارن" بالسرعة سيطرة كاملة على الطفل بعنايته الوافرة. فكان يؤرجحه بحماسة، ويقذفه في الهواء بين ذراعيه ببراعة كاملة، ويهدل كهديل الصبي، ويحرك رأسه أمام وجهه بنشاط كبير، ويرتل عليه عددا كبيرا من الأسئلة الجُزافِية المهملة التي لا يجد ردا لها. ومجرد رُؤْية "راي تشارن" يمتلئ الطفل بالطرب والسرور.

ولما تعلم الطفل الحَبْوَ، بدأ يحبو بخلسة إلى المدخل، وهو يقهقه بمرَحٍ. وإن حاول واحد أن يمسك به يتعجل في العثور على مكان محفوظ ما للاختفاء. ويسحر "راي تشارن" بهذه البراعة الرائعة وبسرعة القرار. ويذهب إلى أم الطفل، ويقول لها بإعجاب: يا "أمَتِ" إن إبنك سيكون قاضيا عندما يكبر، ويكسب ثروة وشهرة. وهناك أطفال آخرون في الدنيا هم أيضا يَحْبُون في حداثة أعمارهم إلى المدخل. ولكن حَبْوَهم كان خارج تخيل "راي تشارن". وفي زعمه أن قاضي المستقبل يمكن له أن يقوم بهذا العمل الفذ. وكانت خطواته المضطربة مذهلة أيضا. وعندما بدأ الطفل ينادي أمه بـ "ماما" و أخت أبيه" بـ " عماة" و"راي تشارن" بـ " تشاننا" يصرح "راي تشارن" هذه الإنجازات المدهشة أمام كل واحد يقابله. كان دهشا جدا بأن الطفل لم يدعو فقط أمه بـ "ماما" وعمته لأخت أبيه بـ عمتاه" بل أيضا يدعو"راي تشارن" بـ "تشاننا". ومن الصعب على الفهم أن مثل هذا الذكاء قد نبع فيه. في الحقيقة حتى أن بعضا من الشبان أيضا لا يستطيعون أن يظهروا مثل هذا الذكاء الرائع. والناس لا يكونون متأكدين على كفائته لـ" قاض" حتى أن الطفل بذاته لا يؤكد على ذلك.

بعد أيام قليلة سُئِلَ "راي تشارن" أن يظهر براعته في طرق أخرى. وعلى سبيل المثال، كان عليه أن يمثل دور الفرس ممسكا بزمام بين أسنانه وواثبا بقدميه. وكان عليه أن يتصارع مع راكب صغير، وإن انهزم من خلال حيلة من حيل المتصارع وإسقاط نفسه على الأرضية يواجه مشاكل كبيرة.

الآن نُقِلَ السيد "أنوكول" إلى مقاطعة واقعة بطرف نهر "بدما" و في طريقه إلى مقاطعة "بدما" مر بمدينة كلكتا من حيث ابتاع لإبنه كرسيا متحركا (عربة أوتوماتيكية)، وابتاع له أيضَاً صُدْرة حريرية وقبعة مطرَّزَة بالذهب، وأسوار ذهبية

وزوجا لخلخال ذهبي. ويلبسه "راي تشارن" هذه الأشياء، ثم يُخرجه كالأمير الصغير على كرسيه المتحرك مرتين في يوم واحد لاستنشاق الهواء النقي الطازج.

جاء موسم المونسون. وبدأت السماء تمطر مطرا وابلا يوما بعد يوم حتى فاض النهر بماء الأمطار. وابتلع النهر الفائض الجائع أرضا مرفوعة، وقرى وحقولا، وأغرقت مياه الفيضان جميعَ الأشجار الطويلة والأجمات الوحشية النابتة على الشواطئ الرملية. من حين إلى حين كان ينطلق هناك صوت صاخب للرعد عند انهيار شواطئ النهر. ويمكن السماع بهدير التيار المستمر من بعيد. وكتلة الزبد تجري بسرعة كسرعة النظر إلى تيار النهر.

في أصيل توقف المطر، وكان اليوم متغيما، ولكنه كان باردا وساطعا. وفي مثل هذا الجو المبتهج أن سيد "راي تشارن" "الصغير دائم الاضطراب "رفض الجلوس في البيت. فركب على كرسيه المتحرك وبدأ يدفعه "راي تشارن" بحذر شديد إلى جانب شواطئ نهر "بدما" عبر الحقول ذات الأرز المقشور. ولم تكن هناك قوارب موجودة في النهر ولا الناس يعملون في الحقول. من خلال الثغرة بين السحب والغيم تتراءى أو تظهر الشمسُ تأخذ الاستعداد بصمت عنفي للغروب وراء الشواطئ الرملية المقفرة في النهر. وفجأة أن السيد الصغير كسر صمته مشيرا بيده إلى أمامه، وهاتفا بـ:يا "تشاننا". " الأزهار الجميلة" وكان هناك على كثبٍ شجرةُ لـ"كدمبا" قائمة في الوحل، ببعض الأزهار في أعلى فروعها، وهذه الأزهار هي التي جذبت إليها انتباه الطفل. فنظر الطفل إلى هذه الأزهار بنظرةِ شرهٍ. ففهم "راي تشارن" مفهوم نظرته الشرهة. وقبل بضعة أيام فقط كان صنع للطفل من هذه الأزهار عربة متحركة صغيرة، وابتهج بها الطفل ابتهاجا لحدٍّ أنه لم يطالب مطلقا ذلك اليوم من "راي تشارن" أن يضع الزمام بين أسنانه لتمثيل دور الفرس. بل هو رُقِّيَ من فرسٍ إلى سائس للفرس.

ولكن "راي تشارن" لا يود أن يلطِّخ قدميه مع الركبتين بالوحل لقطف الأزهار في هذا المساء، لذلك أشار بسرعة إلى اتجاه آخر، وقال لها: أنظر، أنظر إلى طير

يطير في السماء. والآن هو قد طار. تعال ياأيها الطير تعال! ودفع بسرعة فائقة الكرسي المتحرك إلى الأمام مثرثرا هكذا. ولكن محاولة إصراف انتباة طفلٍ يكون قاضيا في المستقبل من خلال حيلة بسيطة صارت غير مجدية، بالخصوص عندما لم يكن هناك شيئ يجذب انتباهه. والطيور المتخيَّلة لا تستطيع أن تلهي الطفل لوقت طويل. فأصر الطفل على الحصول على الأزهار. وبالنهاية خضع "راي تشارن" رأسه لمطالبته. وقال: حسن! يا سيدي الصغير! إجلس على كرسيك المتحرك حتى أعود إليك ببعض الأزهار بعد قطفها. وحذار من الاقتراب من الماء. وقائلا هذا رفع إزاره الهندي"دهوتي" فوق ركبتيه، وخاض الوحل قاصدا إلى شجيرة الأزهار.

في اللحظة التي غادر فيها "راي تشارن" لقطف الأزهار، انصرفت فكرة سيده الصغير من الأزهار إلى الماء الممنوع وإلى سرعة مجرى الماء. فرأى الطفل النهر يجري، ويتموج، ويتساقط، ويقرقر، ويثور ويُدَوِّم. وبدا له كأن الأمواج المتمردة بذاتها تفر من "راي تشارن" العملاق ضاحكة بضحك ألف طفل. ولرؤية ذلك المشهد خفق قلب الطفل الإنساني، وهاج. فترك كرسيه المتحرك، وسار إلى جانب النهر. وفي طريقه إنه التقط عصًا صغيرة، ومال إلى شاطئ النهر المتموج متظاهرا بصيد السمك. وبداله أن أمواج النهر الشريرة بأصواتها الغامضة تدعوه إلى داخل منزلها للعب.

كان هناك صوت واحد للسقوط فقط، ولكن على شواطئ نهر "بدما" في موسم فيضان المونسون يمكن السماع مثله بعدة من الأصوات. وقطف "راي تشارن" شيئا من الأزهار من شجيرة "كدمبا" وملأ طية إزاره بهذه الأزهار. وتاركا الشجيرة اتجه راجعا إلى الكرسي المتحرك، وباسما، ولكن بعد وصوله إلى المكان، شاهد أن الطفل لم يكن موجودا في ذلك المكان. فبدأ يبحث عنه حوله ولكنه لم يجد أي أثر للطفل في أي مكان. فتجمد دمه واسودت الدنيا أمام عينيه. وانطلقت من قلبه الخافق صرخة مرتفعة : سيدي : يا سيدي الصغير، يا عزيزي، يا سيدي الصغير السن.

ولكنه لم يهتف أحد به "تشاتنا" ردا لهذه الصيحات. ولم تنطلق ضحكّة شريرة صبيانيّةُ من مكان ما. وواصل نهر"بدما" يجري ويتدفق و يدوّم و يغرغر كما فعل من قبل. كأنه لم يعرف عن الطفل شيئا، ولم يكن لديه الفارغ من الوقت لإصغاء أذنيه إلى حادثات العالم الصغيرة كموت طفل صغير.

وعندما هبط المساء، قلقت أم الطفل بشأن طفله. وأرسلت أناسا مع فوانيس للبحث عن الطفل وخادمه "راي تشارن" . ولما وصلوا إلى شاطئ النهر وجدوا "راي تشارن". يتجول بين الحقول متشردَّ البال مثل عاصفة نصف الليل، قائلا بالبكاء: يا سيدي! يا سيدي الصغير! وفي النهاية أعادوه إلى البيت. ولما وصل "راي تشارن" إلى البيت، ألقى نفسه على قدمي سيدته. وأجاب بالبكاء ردا على جميع أسئلتها : لا أدري شيئا: يا أماه ! لا أدري شيئا: يا أماه.

وبالرغم من أن جميع الناس في القرية عرفوا في صدورهم أن نهر "بدما" هو الذي كان مجرما حقيقيا، غير أن عجلة الريب دارت بين أصحاب السيارات الذين نزلوا على طرف القرية اليوم. ولكن سيدة المنزل ارتابت في "راي تشارن" ففي ظنها أن "راي تشارن" هو الذي سرق طفلها. وازداد شكها إلى حد حتى أنها دعته إليها وتضرعت إليه قائلة: أُعِدْ إليَّ طفلي، وأعطيك ما تطلب مني من الأموال. ولكن في رد كل هذا لم يستطع "راي تشارن" أن يفعل شيئا ما عدا يضرب جبهته..... ثم أنها أمرته قائلة: أغرب بوجهك عن عينيَّ. وحاول السيد " انوكول" في إزالة ريبة زوجته قائلا: بأي دافع يكون قد ارتكب هذه الجريمة الشنيعة. فأجابت زوجته قائلة: ماذا تعني بهذه الجملة: كان الطفل مرتديا بحِلًى ذهبية.

II

رجع "راي تشارن" إلى بيت قريته. ولم يكن له طفل من زوجته لغاية الآن. وقد انقطع أمله منذ وقت طويل عن أن يولَد له طفل. ولكن وقعت أعجوبة من العجائب. فلم تكد تمضي سنة أن زوجته الطاعنة في السن ولدت له ابنا. ثم ماتت فور ولادة الطفل.

في أول الأمر أبغض "راي تشارن" الطفل الحديث الميلاد حيث اعتقد أنه أخذ بالخدعة والحيلة مكان السيد الصغير. ويرى هذا من السيئات الكبيرة في أن يفرح في ابنه الحقيقي ويتخذه مصدرا لقرة عينيه بعدما أجاز ولو بالإهمال للابن الوحيد لسيده أن ينجْرف في تيار الماء. ولولم تكن هناك أخته الأرملة لما تنفس الطفل نفحة الأرض لوقت طويل أو لما بقي الطفل على قيد الحياة.

وكان من المدهش أن الطفل أيضا بعد بضعة أشهر بدأ يعبر المدخل حبوا، ويظهر مهارة مرحة في أن يفك جميع أنواع القيود أو يتجنبها. فكان يضحك، ويبكي كما كان يفعل السيد الصغير قبلا. وعندما كان يسمعه "راي تشارن" باكيا، يخفق قلبه بشدة. ويبدوا له كأن السيد الصغير يبكي في مكان ما لفقده "راي تشارن". قد أطلقت على الطفلِ أختُ "راي تشارن" إسمَ "بهيلنا" وبهذا الإسم كانت تدعوه. وعلى مر الأيام بدأ الطفل يدعوها بـ " بيسي" يعني "العمّة". ولما سمع يوما "راي تشارن" هذه الكلمة المعروفة، تفكر في أن السيد الصغير لا يستطيع أن يعيش بدون حبي: لذلك أنه وُلِدَ من جديد في بيتي.

كانت هناك براهين مقنعة مختلفة تؤيد هذا الاعتقاد. الأول: كان هناك فاصل قصير بين موت السيد الصغير وولادة الطفل الجديد. والثاني: أن زوجته الطاعنة في السن لم تكن مؤهلة لولادة ابن له حيث أصبحت مسنة. والثالث: أن الطفل يحبو، ويمشي بخطى قصيرة مضطربة، ويدعو عمته بـ " بيسي" مثلما فعل السيد الصغير. وكذلك كان هناك كثير من الإشارات إلى أنه سيكبر لكونه قاضيا. ثم تذكر "راي تشارن" الريبة القوية التي كانت حملتها سيدة البيت في صدرها. وأدرك بالحيرة أن سجية أمومتها ألهمت إليها بصحيح أن واحدا من الناس قد سرق طفلها. والآن إنه شعر بالخجل الشديد في الطريقة التي أهمل فيها عن حماية الطفل. وأخلص للطفل من جديد. ومن الآن فصاعدا قام بتربية الطفل كطفلٍ لغنيٍ. وابتاع له قميصا حريريا وقلنسوة مطرَّزَةً بالذهب. وأذاب حلى زوجته الميتة ليصيغ له أو يصنع خلخالا وسوارا. ومنعه من اللعب مع أطفال الحارة. وكان بذات نفسه زميل

اللعب الوحيد للطفل طوال اليوم. ولذلك كلما يجد أطفال الحارة فرصة يقومون بسخرية منه لكونه أميرا. ويعجب القرويون من سلوك "راي تشارن" الشاذ.

وعندما بلغ "بهيلنا" السن اللائقة للذهاب إلى مدرسة، باع "راي تشارن" أرضه الزراعية وذهب به إلى مدينة كلكتا حيث أنه حصل بصعوبة كبيرة على وظيفة. وأدخل الولد إلى مدرسة رفيعة المستوى. وكان يقتِّر على نفسه ويقضي حياة خشنة مثل حياة التقشف ليتمكن من التوفير له أحسن الطعام وأفضل اللباس وأجود التعليم. ويقول لنفسه: يا سيدي الصغير: أنت أحببتَنِي لحد حتى ولدتَ من جديد في بيتي، فأتعهد على نفسي أن لا تعاني من أي إهمال من جانبي، وأحاول كل وسعي ألا تنال مني إلا الخير.

ومضت اثنتا عشرة سنة على هذه الطريقة . وأحسن الولد في دراساته. وكان جميل المظهر، ومتين البنيان، وأسمر اللون، ولامع البشرة. وكان يعتني اعتناء كبيرا بشعره، وكانت أذواقه مهذبة و مثقفة. وهو لم ينظر إلى "راي تشارن" كأب لأن "راي تشارن" لو أنه كان يعامله بشفقة الأب ولكن يتظاهر بأنه خادم له. ومن الأدهى أن "بهيلنا" لم يقل لأحد إن "راي تشارن" أبوه. وسخر أولاد الحارة حيث سكن "بهيلنا" دائما من الرجل الساذج، وانضم "بهيلنا" إليهم في هذه السخرية من الرجل في غيابه، ولكن في نفس الوقت كان سكان الحارة مولعين بهذا الرجل البسيط، و"بهيلنا" أيضًا أحبه ولكن لم يعامله بحبه مثل والده. فكان حبه له خليطاً من التلطف والتفوق.

هَرِمَ "راي تشارن"، وبدأ يجد مُوَظِّفه أخطاء في أعماله. وأخذت صحته تتدهور على مر الأيام، ولا يستطيع أن يكرس لأعماله. ويكثر من النسيان. والحقيقة أيضا أن المُوَظِّف الذي يدفع كامل الأجرة لا يقبل مستخدما مُسنًّا يرتكب الأخطاء على الدوام. وزد على ذلك أن الأموال التي كان حصل عليها "راي تشارن" بعد بيع أرضه كادت أن تنتهي. ولذلك لم يتمكن من منح "بهيلنا" ما كان يعطيه من الأموال والحياة المترفة. فالآن بدأ "بهيلنا" يشكو إليه من قلة البضاعة وضيق الحياة.

يوما استقال "راي تشارن" فجأة عن وظيفته. وقال لـ" بهيلنا" معطياً إياه قليلا من الفلوس لمصروف الجيب: شيئ حدث، لذلك أحتاج إلى العودة إلى القرية لأيام قليلة. ثم أنه توجه إلى "باراسات" حيث كان السيد "أنوكول" متعينا في مَنْصِب القاضي في هذه الأيام.

ولم يُرزَقُ السيد "أنوكول" أيَّ طفل آخر بعد. وإن زوجته الثكلى لا تزال تحزن على إبنها. مساء من الأمسيات عندما كان السيد "أنوكول" يستريح بعد العودة من المحكمة، وكانت زوجته تتحدث إلى "سنياسي" يعني "ناسك هندوسي" لتأخذ منه عشبا مقدسا و تطلب منه أن يدعو إلى الرب حتى يعود إليها ابنها، إذ سمعت صوتا يناديها "أماه": تمستائ (عبارة عن التحية الهندوسية) فأجاب السيد "أنوكول" سائلا:من هناك؟ فانبرى له "راي تشارن" وقال رافعًا غبار قدمي "سيده السابق:" أنا "راي تشارن" يا سيدي، خادمك القديم. برؤية الرجل الهرم رق له قلب السيد "أنوكول". ثم سأله عددا كبيرا من الأسئلة عن أحواله الحاضرة. وطلب منه أن يعمل له من جديد.

ابتسم "راي تشارن" ابتسامة خفيفة، وقال: دعني أن أقدم احترامي إلى "ماتاتهاكرن" يعني سيدة المنزل أولا. فذهب به السيد "أنوكول" إلى داخل المنزل. ولم تسر زوجته برؤيته. ولكن "راي تشارن" لم يهتم بذلك، وقال لها مطوي اليدين: يا "أماه" السيدة. هو أنا الذي سرق ابنكِ. ولم يكن هذا نهر "بدما" ولا أحد غيري، وهو أنا العاق البائس الذي ارتكب هذه الجريمة. فأنا....

وقال السيد "أنوكول": ماذا تقول؟ وأين هو؟

أجاب "راي تشارن" : هو يسكن معي، وأنا سأحضره أمامكم في يومين.

وكان ذلك اليوم يوم الأحد، وكانت المحكمة مغلقة. وينتظر الزوج والزوجة لهما بنافد صبر، وينظران من الفجر إلى الشارع بمقلق البال ويثبتان عيونهما على الشارع بتوتر الأعصاب وخفقة القلب. وتمام الساعة العاشرة في الصباح وصل "راي تشارن" مع "بهيلنا" إلى المنزل.

وجذبت زوجة السيد "أنوكول" الولد إلى حضنها بدون التفكير فيه أو السؤال عنه، لمسته، وشمَّته، وفحصت وجهه، وبكت، وضحكت باضطراب وقلق. والحق كان الولد جميل المظهر في رؤيته، ولم يكن هناك أي شيء يوحي إلى خلفية فقيرة. وكان هناك سيماء رقيقة معتدلة حَيِيَّة أو خجولة في وجهه. وبرؤيته فاض قلب "أنوكول" أيضًا بالحب. ولكن احتفاظا بهدوئه سأل: هل عندك دليل للإثبات أنه ولدي؟

وأجاب "راي تشارن" كيف يمكن الإثبات لمثل هذا الصنيع والفعل. ألله الوحيد يعلم أنني سرقت ابنك. ولا أحد في الدنيا يعلم به. تفكر السيد "أنوكول" في الأمر، وقرر أن لا يكون مناسبا الآن في البحث عن دليل منذ أن رأى زوجته عانقت الولد كابنها الحقيقي بحماسة كبيرة. مهما يكون الحق، من الأفضل أن يوقن بما يقول. وفي أية حالة، كيف يمكن لـ "راي تشارن" أن يكون مثل هذا الولد؟ ولماذا يود الخادم الهرم أن يخدعهما الآن. وقد علم بعدما سأل الولد: أن الولد عاش معه منذ طفولة ودعاه "الأب". ولكن "راي تشارن" لم يعامله قط كأبٍ. وما زال خادما إلى حد. قال "أنوكول" مزيلا جميع شكوكه عن ذهنه.: أي "راي تشارن" لا تجعل بيتي مظلما من جديد الآن.

وأجاب "راي تشارن" مطوي اليدين وبصوت متهدج: أنا رجل هرِمٌ الآن: يا سيدي، أين أنا أذهب؟

قالت سيدة المنزل: دعه أن يبقى ههنا، قد صفحت عنه. ودعْ ابننا يسعد به. ولكن السيد "أنوكول" قال: لا يمكن أن يصفح عنه لما فعله. وبكى "راي تشارن" لامسا قدمي سيده، وقال: ما فعلتُه شيئا. بل فعله الله. وهذه الجملة أغضبت السيد "أنوكول" أكثر من قبل، لأنه رأى أنه يوجه مسؤولية جريمته ارتكب بها بذات نفسه إلى الله. فقال "أنوكول" لا ينبغي لاحد أن يثق بشخص خدع ثقته بهذه الطريقة الشنيعة.

وقال "راي تشارن" قائما عن قدمي سيده: هو لم أكن أنا: ياسيدي.

إذن من كان هو؟

كان مكتوبا كذلك.

لا يمكن لرجل مثقف أن يقتنع بمثل هذا التفسير أو التعليل

وقال "راي تشارن" وما عندي أحد في هذه الدنيا غيره.

بلاريب، أن "بهيلنا" صار أكثر غضبا على "راي تشارن" عندما عرف بأنه كان قد سرقه. وادّعاه بكذب كابنه الحقيقي. ولكنه قال لـ "أنوكول" يا أَبَتِ: إغفر له من فضلك. وإن لا تدعه أن يسكن في البيت، إذن أعطه علاوة شهرية.

نظر "راي تشارن" مرة إلى ابنه بدون أن ينبس ببنت شفة، وانحنى في احترام للجميع. ثم خرج من الباب. وغاب في حشد الدنيا. في آخر الشهر، عندما أرسل "أنوكول" مبلغا صغيرا إلى "راي تشارن" في قريته، رجع المبلغ. مع الملاحظة لا يتواجد أحد بهذا الإسم هناك في القرية".

****

تقرير

الاحتفال باليوم العالمي الثاني لليوغا

إعداد: د. معراج أحمد معراج*

احتفل العالم للمرة الثانية باليوم الدولي لليوغا على مستوى العالم في 21 من يونيو عام 2016م. ولا شك في أن هذا الاحتفال شرف للهند وتكريم للفلسفة الهندية وتتويج للجهود الدبلوماسية التي أطلقتها الحكومة االهندية بمناشدة رئيس الوزاء الهندي في الجمعية العامة للأمم المتحدة في اليوم السابع والعشرين من شهر سبتمبر عام 2014م من المجتمع الدولي لتخصيص يوم للاحتفاء باليوغا على مستوى العالم.

استجاب المجتمع الدولي للطلب الهندي بالموافقة واتخذ القرار لتخصيص اليوم الواحد والعشرين من شهر يونيو كل عام للاحتفاء باليوغا على مستوى العالم في الدورة التاسعة والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة إذا اقتنعت أن رياضة اليوغا توفر نهجا شاملا للصحة والعافية.

قامت هيئة الأمم المتحدة بالدعوة إلى جميع البلدان للاستفادة من هذا اليوم العالمي وللتعرف إلى مزايا رياضة اليوغا وفوائدها الصحية. وبهذه المناسبة قال مندوب الهند لدى هيئة الأمم المتحدة السيد أشوك كومار موخرجي: "اليوغا ليست مجرد رياضة بدنية وإنما هي في الأصل فلسفة للعلاج لبعض العوارض البدنية والنفسانية. إن الانضباط والكسب هما وجهان متلازمان لتمرينات اليوغا".

---

*الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية، جامعة عالية، كولكاتا، الهند.

الاحتفال باليوم العالمي الثاني لليوغا

نشرت مقالات عن مزايا اليوغا وفوائدها الصحية وتوالت ردود الأفعال والبيانات من الشخصيات البارزة في داخل الهند وخارجها وعلى رأسهم سعادة الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون الذي قال: "إن اليوم العالمي لليوغا سيوجه الاهتمام إلى الفوائد الشاملة لهذه الرياضة، واليوغا تسهم في مقاومة الأمراض وتجمع بين المجتمعات بطريقة شاملة تولد الأحترام المتبادل". وأضاف قائلا: "إن اليوغا رياضة قادرة على الإسهام في التنمية وإيجاد السلام في العالم كله. ومن الممكن أن تساعد الناس في الأوضاع الطارئة على تخفيف الشعور بالتوتر".

إن اليوغا عبارة عن تمرينات بدنية وعقلية تضرب جذورها في أعماق الماضي. يرجع تاريخها إلى العصور الفيدية. لقد أحياها الحكيم الفيلسوف الهندي باتانجلي وأخرجها في شكل رسائل أطلق عليها "اليوغا سوترا". رأى باتانجلي أن ممارسة تمرينات اليوغا توفر التوازن والتنسيق الكامل بين جميع قابليات الإنسان البدنية والعقلية والروحية. إن تمرينات اليوغا تنمي العقل وتصقل الذهن وتقوي الجسم بحيث أنها تسبب الهدوء النفسي وتخلص الإنسان من التوتر الذهني. وكذلك توفر العلاج البديل لمختلف الأمراض الجسمانية والروحانية.

اليوغا أولا وقبل كل شيئ تعلم ممارسيها الانضباط العقلي والبدني والانسجام بين الإنسان والطبيعة ولا تقتصر على تمارين الرياضيات فحسب وإنما تسعى إلى اكتشاف الشعور بالتوحد مع الذات والعالم والطبيعة. لقد وجد العلماء والأطباء على مستوى العالم أن اليوغا مفيدة للغاية لجميع الناس. ويمكن أن يستفيد منها العالم بأسره في هذا العصر الذي يكتظ بالمشاكل الطبيعية والخلال النفسانية التي تخلقها الضغوظ المادية. فمن خلال ممارسة اليوغا يتعلم الإنسان كيفية العيش لحظة بلحظة مع الوعى الكامل بما يفعله وبما يدور في فكره وما يختلج في نفسه. وإن رياضة اليوغا تعلم الإنسان الوعى الذاتي الحقيقي ماوراء الجسد والعقل. فإن العقل من نواح عديدة مثل جسد الإنسان ينتقل من فكر إلى فكر ويتبع الأفكار والعواطف.

الهند هي مصدر اليوغا: تعتبر الهند من أقدم الحضارات العالمية بحيث يرجع تاريخها إلى آلاف السنيين في الزمن قبل الميلاد. والحضارة كما يعرفها العلماء عبارة عن مرور شعب من مختلف مراحل التطور في مدة من الزمن محددة حتى تتوصل إلى مظاهر الرقى في العلوم والفنون والآداب والحياة الاجتماعية. يوجد للشعب الهندي تاريخ حضاري طويل مليئ بالمعارف والتراث الثقافي، ومن بين هذا المعارف والتراث الثقافي رياضة اليوغا.

مدارس اليوغا وأنواعها:

تنقسم اليوغا إلى عدة فروع. تبدأ من فرح العناية بالجسم والسيطرة عليه وتنتهي إلى طريق المعرفة الروحية. ومن أهم هذه الفروع أربعة:

أولا: الهاتا يوغا

ثانيا: الرجا يوغا

ثالثا: الجنانا يوغا

رابعا: الكارما أو البهاكتي يوغا

وكل فرع من هذه الفروع يوصل الإنسان إلى الهدف الأصلي من حياته وهو الصفاء الروحي والنمو العقلي والرقى والعمل والصحة الكاملة والحكمة البشرية للوصول إلى الكمال.

عالمية اليوغا:

نالت رياضة اليوغا شعبية كبيرة خاصة في الأوساط الغربية لإنبنائها على أسس علمية وموضوعية لأنها تقوم على السمو بروح الإنسان كإنسان والأرواح كلها متساوية في خصائصها وإمكاناتها. قد أصبحت اليوغا في العقود الماضية في الولايات المتحدة والدول الأوربية رياضة مرغوبة فيها من الناس من جميع الطبقات الدينية والاجتماعية. وتبين من خلال إحصائيات أن حوالي ستة عشر مليون أمريكي يمارسون اليوغا كل عام. ولا نبالغ إذا قلنا إنها أعظم سلعة ثقافية مصدرة من الهند. اكتسبت اليوغا في العصر الراهن أهمية بالغة على المستوى الدولي. يجدر بنا أن

نخوض المصادر التاريخية التي تفينا بالمعلومات عن ممارسة اليوغا في الماضي في الهند وأقرب إشارة إلى وجود بعض الأشكال لممارسة اليوغا تنبع من ثقافة "هارابا" التي يرجع تاريخها إلى 2700 قبل الميلاد. ويعرض عدد من الأختام المحفورة صورة شخص يجلس جلسة على غرار أولئك الذين يؤدون الانغماس في التأمل والتفكير، وهذه الجلسة خاصة باليوغيين، فاليوغا وهي جزء لا يتجزأ من الحضارة الهندية تبوأت مكانة الصدارة في النشاطات الرياضية في الهند إبان القرن الخامس والسادس قبل الميلاد وسيطرت في القرن الثامن عشر الميلادي ظواهر اليوغا المختلفة على مشهد الحياة والتاريخ الهندي.

إن اليوغا في العصر الحاضر تتمتع بالشعبية في عدد من دول العالم. ومن المؤكد أنها إفادة تمرينات اليوغا التي جعلت هيئة الأمم المتحدة تعترف بها كرياضة بدنية مفيدة وقبلت باحتفال اليوم الحادي والعشرين من شهر يونيو كل عام كيوم اليوغا. وقام عدد كبير من المعاهد والجامعات الهندية المركزية بعقد احتفال باليوم الدولي لليوغا. وشارك الشعب في هذه الاحتفالات بكل نشاط ورغبة.

احتفلت جامعة عليجراه الإسلامية باليوم العالمي لليوغا:

احتفلت جامعة عليجراه الإسلامية باليوم العالمي لليوغا بكل سرور ورغبة حيث عقدت بمناسبة اليوم العالمي الثاني لليوغا ورشة عمل والمناقشة حول"الحياة السعيدة من خلال ممارسة اليوغا". قد حضر كل من مسؤولي الجامعة والأساتذة والطلبة هذه الحفلة ومارسوا اليوغا في ميدان فسيح في حرم الجامعة. قال مدير الجامعة السيد ضمير الدين شاه: "إن اليوغا جزء لا يتجزأ من ثقافة الهند وتراثها ونحن نفتخر بكونها تراثنا والجامعة تمارسها منذ خمسين عاما. وأضاف قائلا: "إن اليوغا تحثنا وتعلمنا المواظبة والتي بدورها تجعل حياتنا مفيدة لنا والآخرين وسعيدة". وقال الأستاذ أين. ئي. كيه (N.I.K) نوراني عميد كلية علوم الاجتماع: "اليوم يوم سعيد إذ نحتفل باليوم العالمي لليوغا وهذه هي ثمرة الجهود التي بذلها رئيس وزاء الهند السيد مودي الذي أوصل اليوغا إلى هيئة الأمم المتحدة واعترف العالم كله بأهميتها

في العصر الحاضر. وتقوم البلدان الكثيرة من الشرق والغرب بممارستها". وأضاف قائلا إن 21 من يونيو أطول أيام السنة وأرى أن هيئة الأمم المتحدة قامت باستخدام هذا اليوم استخداما مناسبا على المستوى العالمي". بدأت الحفلة بتلاوة بعض الأيات من القرآن الكريم واختتمت أخيرا بالنشيد الوطني.

احتفلت جامعة جواهر لال نهرو باليوم العالمي لليوغا: استضافت جامعة جواهر لال نهرو بنيودلهي بمناسبة اليوم العالمي حفلة لليوغا في ساحتها الواسعة حيث حضر كل من مسؤولي الجامعة وأساتذتها وطلابها.

*****

THAQAFAT-UL-HIND : Statement of ownership and other particulars.

FORM IV
(See Rule 8)

1.	Place of Publication	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
2.	Periodicity of its Publication	:	Quarterly
3.	Printer's Name	:	Amarendra Khatua
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
4.	Publisher's Name	:	Amarendra Khatua
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
5.	Editor's Name	:	S. A. Rehman
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
6.	Name and address of individuals who own the newspaper	:	Director-General Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002

I, Amarendra Khatua, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Sd/- Amarendra Khatua
Signature of Publisher

ICCR Headquarters

President	: 23378616, 23370698	Hindi Section	: 23379364
Director General	: 23378103, 23370471	Indian Cultural Centres	: 23379386
Deputy Director General (DA)	: 23370784, 23379315	Chairs of Indian Studies Abroad	: 23370233
Deputy Director General (NK)	: 23370228, 23378662	International Students Division-1	: 23370391
Director (JK)	: 23379249	International Students Division-II	: 23370234
Administration	: 23370413	Afghan Scholarships Division	: 23379371
Establishment (Despatch & Maintenance)	: 23370633	Library/Web Site/MM/AVR	: 23370249
Exhibitions	: 23379199	Outgoing Cultural Delegations/Empanelment	: 23370831
Finance & Accounts	: 23370227	Publications	: 23379930
Incoming Cultural Delegations	: 23378079	Presentation/Special Projects	: 23379386
Foreign Cultural Centres	: 23379309	Conferences & Seminars	: 23379463
Regional Offices	: 23370413	Distinguish Visitors Programme	: 23370633